جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

المتبقى من شعر صاعد البغدادي

جمع وتوثيق ودراسة

دكتور
محمد رمضان أحمد الجوهري
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود - جامعة الأزهر
قسم الأدب العربي والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن تتبع نتاج أديب بغية كشف ما غام من جنبات حياته، واستحقب من قسمات عصره، عمل مثير وشاق في آن، ووجه إثارته جمع ما تناثر من إبداعه في بطون أمهات الآثار، ومصادر التراث، وما يساوق ذلك من إحساس راعش حين تصفح المظان، يسلم إلى نشوة عند الظفر بنص يسد مع سابقيه ثلمة في بناء تكتمل ملامحه حتى يصبح ماثلاً، لا يتلبده غيوم، أو تكتنفه ضبابية بعد أن عاش زمنا حبيس أوراق، لا يكشف منفرداً عن ظاهرة، أو يبين وحده عن غاية، فقصاراه – والحالة تلك – تقف عند حدود متعة تبقى آثارها في النفس أو تزول، إلا أنها في الحالتين تظل مفتقرة إلى صورة كلية يأخذ بعضها بحجز بعض؛ وصولاً إلى حكم متكامل، يصيب به صاحبه شاكلة الحق، ومقطع الصواب.

أما مشقته فمردها إلى التنقيب بتؤدة في مصادر التراث على تنوع شكولها مما تناول الأديب والعصر، أو عنَّ لأيهما قصداً أو عرضاً، وفي ذلك من الجهد ما يعلم كنهه من سبر الغور، وبذل العمر، جامعاً شتات ما تناثر من نتاج رجل استفرغ طاقته فيه، ووقف حياته عليه، مأخوذة نفسه بروعة الفن، وعقله بلوثة الإبداع.

ومن هذا الباب جمع أشعار الأقدمين ممن لم يدون شعرهم فبددته يد الزمن، فضاع في مطاوي تيه سنوات، وصار رغم ما له من قيمة مجرد اسم يشار إليه في معرض ترجمة لصاحبه، أو الحديث عما يتصل إليه بسبب، أو يمم صوبه بغرض ، وقد بذل أساتذتنا

الإجلاء جهداً محموداً يشكرون عليه، فما أضافوه إلى تراثنا، وجمعوه من إبداعات أدبائنا، سيظل مثار إعجاب وإكبار وفخر.

وحسبي أني أنخت راحلتي ببابهم، فحاولت – متعلماً – اقتفاء سننهم، واجتهدت – مقتاتاً على موائدهم–سلك دروب عبدوها باذلين في سبيل ذلك من الجهد ما يحسب لهم ويحسدون عليه.

وصاعد من أولئك النفر الذين تناثر شعرهم في ثنايا الكتب، وتفرق في بطون المصادر، فلم يجمع متفرقه، أو يلم شتاته في حياته أو بعد موته، فضاع جله ولم يدون، رغم المنزلة التي تبوأها في المشرق والمغرب، والمكانة العلمية التي كانت مثار مدح وقدح، ونقد ورد، وقد استخرت الله تعالى في دراسة شعره بعد جمعه وتوثيقه من مظانه المعتمدة، ومصادره المتفرقة، راجياً أن أضيف بهذا الجهد المتواضع – الذي لم أدخر فيه وسعاً – إلى تراث أمتي ما ينفع ويفيد.

والله وحده من وراء القصد وهو يهدي السبيل

توطئة
صاعد البغدادي[1]

هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادي تربة، والطبري أصلاً، والربعي نسباً، وقد أجمعت كل المصادر التي عنيت بالترجمة له على كنيته " بأبي العلاء" أما نسبته إلى بغداد فقد اشتهر بها؛ للمكانة التي تبوأها فيها قبل رحيله عنها، ولدلالتها على الدور الذي لعبه في أوساطها العلمية، ومنتدياتها الأدبية قبل مغادرته لها.

(١) انظر في ترجمته جذوة المقتبس للحميدي – الدار المصرية للترجمة والنشر ١٩٦٦م – ترجمة رقم (٥٠٩) – صـ ٢٤٠، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام – تح: إحسان عباس – دار الثقافة بيروت ١٩٩٧م ق٤مج١/ ٨، بغية الملتمس للضبي – تح: إبراهيم الإبياري – دار الكتاب اللبناني – ط١/ ١٩٨٩م - ترجمة رقم (٨٥٤)– جـ٢/ ٤١٣، الصلة لابن بشكوال – تح / إبراهيم الإبياري – دار الكتاب المصري ط١/ ١٩٨٩م – ترجمة رقم (٥٤٦) – جـ١/ ٣٧١، معجم الأدباء لياقوت الحموي – تح:إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٣م – ترجمة رقم (٥٩٤) – جـ٤/ ١٤٣٩،المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي تح: محمد زينهم إبراهيم – دار الفرجاني – القاهرة – ١٩٩٤م –صـ ٣٨، لسان الميزان لابن حجر – منشورات الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٩٧١م – جـ٣ / ١٦٠، وفيات الأعيان لابن خلكان – تح: إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت - جـ٢/ ٤٨٨، بغية الوعاة للسيوطي – تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية بيروت – جـ٢/ ٧، ومواضع متفرقة في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري – تح إحسان عباس – دار صادر – بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي – تح:محمد أبو الفضل إبراهيم–دار الفكر العربي - القاهرة–ط١/ ١٠٤٦هـ- ١٩١٩٨٦م – جـ٢/ ٨٥، وصاعد البغدادي حياته وآثاره د: عبد الوهاب التازي – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المغرب ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، وغيرها .

ولم تحددالمصادر سنة بعينها لتكون ميلاداً لصاعد، كما تابعت النهج نفسه في الحديث عن نشأته، فلم تمدنا بما يمكن أن يماط به اللثام عن بداياته، وكل ما ورد في هذا الشأن هو أنه قرأ في الموصل على مشايخها، وأنه سمع في تلك المرحلة السنية المبكرة من الحسن بن عبد الله السيرافي، وأبي علي الفارسي، وأبي سليمان الخطابي، وأبي بكر بن جعفر القطيعي، وروى عنهم(١)، كما صرح أنه استظهر كتب اللغة، وأن ذلك أزلفه إلى الملوك والوزراء في المشرق، يقول في فصوصه " ولزمت أبا سعيد السيرافي في حداثتي حتى استظهرت كتب اللغة، فأزلفني ذلك إلى الملوك، حتى ولاني عبد العزيز بن يوسف خزانة كتبه، فأصبت فيها خطوط العلماء وأصولهم التي استأثروا بها لأنفسهم، إذ لابد لكل عالم من أثيرة مجموعة لخاصته، غير ما يذيعها للطلبة (٢) "

وقد نال صاعد مكانة في بغداد إلا أنه لم تطب له الإقامة فيها، فتركها، ولا تروي المصادر غلة في الوقوف على السبب الحقيقي وراء خروجه ه منها إلى الأندلس، وهل كان فراراً وخوفاً أم بحثاً عن المال والشهرة ؟، والإشارات التي وردت في ذلك تدور في فلك ما صرح به القفطي من أن صاعداً خرج من بغداد إلى الأندلس لما بلغه أن اللغة بها مطلوبة(٣).

(١) النفح ٣ / ٩٧، ٩٨ .

(٢) انظر كتاب الفصوص لصاعد البغدادي – تح: عبدالوهاب التازي- وزارة الأوقاف المغربية – ١٩٩٣ حـ١/ ٣٢.

(٣) إنباه الرواة ٢/ ٨٥ .

و صرحت المصادر أن صاعداً دخل الأندلس في حدود سنة ٣٨٠هـ[١] قاصداً المنصور بن أبي عامر، وعرج في طريقه على مصر[٢]، ثم تركها إلى الأندلس، فدخلها على كره من علمائها الذين كادوا له، وحاولوا انتقاصه، ورميه بالجهل، " فما رأوه أهلاً للأخذ عنه، والاقتداء به[٣] "، إلا أنه تمكن من مجابهتهم والانتصار عليهم، وأثبت للمنصور أن له قدما في الأدب واللغة، فنال مكانة عنده[٤].

وظل صاعد يتقلب في النعمة حتى مات سيده المنصور، وعصفت الفتنة بالأندلس، فتغرب في البلاد، وأغرم مالاً كثيراً، فاستشفع بذوي المكانة آنذاك، فلم يرق له أحد، وعاد إلى الأندلس في أخريات حياته، وتعرض لمدح الخليفة سليمان، فما نجح معه ولا أفلح، فعجل بالرحيل إلى صقلية، ومات بها (رحمه الله) سنة عشر وأربعمائة عن سن عالية[٥]، وقيل مات سنة سبع عشرة وأربعمائة[٦].

---

(١) الجذوة ٢٤٠، بغية الملتمس ٢/ ٤١٣، وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨، إنباه الرواة ٢/ ٨٥، النفح ٣/ ٩٨ .

(٢) فهرسة ابن خير- تح: فرنشكه قداره وخليان طرغون – المكتب التجاري – بيروت ١٩٦٣م- صـ ٣٥٨، ٣٥٩ .

(٣) الذخيرة ق٤مج١/ ٩، وفيات الأعيان ٢ / ٤٨٩ .

(٤) انظر في قصة تفوقه على خصومه ومناظرتهم: الذخيرة ق٤ مج١/ ١٧- ١٩، معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥- ١١٦٧، النفح ٣/ ٧٩ .

(٥) الجذوة ٢٤٤، الذخيرة ق٤ مج١ / ٥٥، إنباه الرواة ٢ / ٨٩ .

(٦) بغية الملتمس ٢/ ٤١٧، وفيات الأعيان ٢ / ٤٨٨، شذارت الذهب لابن العماد – دار الكتب العلمية – بيروت - مج٢- جـ٣ – ٢٠٦ .

والأقرب للصواب ما ذكره الحميدي في الجذوة، وابن بسام في الذخيرة، من أن وفاته كانت سنة عشر وأربعمائة؛ لقربهم الزمني من تلك الفترة، وتحريهم الدقة ما وسعهم ذلك.

ولم تشر المصادر على تنوعها إلى جمع شعر صاعد في حياته، أو بعد وفاته، ولم يذكر هو في كتابه الفصوص أنه جمع شعره في ديوان، ولو كان لنقل منه، وأخذ عنه في مؤلفه، والصحيح أن شعره لم يدون، فضاع جله مع ما ضاع من شعر نظرائه في الدولة العامرية، ولولا البقية المتناثرة في بطون كتب التأريخ والأدب والتراجم، لضاع كل شعره، وأصبح في مطاوي النسيان هو وصاحبه.

وقد اتهم صاعد بالكذب، وأوردت المصادر التي ترجمت له مواقف ثبت فيها أنه رجل مقتدر على الكذب والتلفيق [1]، يروي عن رجال لم يقابلهم أو يسمع منهم، ورغم ما اتهم به فإن من عنوا بالترجمة له، والحديث عنه، أثنوا على قوة ذكائه، وجودة قريحته، وسرعة جوابه، فقد ذكر الحميدي في جذوته أنه كان عالما باللغة والآداب والأشعار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فكه المجالسة، ممتعاً و، كان مع ذلك كله محسناً للسؤال، حاذقاً في استخراج الأموال، طباً بلطائف الشكر [2]، ونقل عنه ذلك الثناء الضبي في بغيته [3].

(١) انظر: الذخيرة ق٤ مج١ / ١٥، ١٦، وفيات الأعيان ٢ / ٤٨٩، النفح ٣ / ٧٨ .

(٢) الجذوة ٢٤٠ .

(٣) بغية الملتمس ٢/ ٤١٣ .

ونسبه ابن بسام أحياناً إلى الكذب، لكنه لم يستطع أن يمنعه حقه من الوصف، فدار في فلك الحميدي، فقرر في معرض حديثه، أن صاعداً كان بديع الجواب حاضره، طيب المعاشرة، فكه المجالسة، ممتعاً، محسناً للسؤال[١]، ودار في فلكهم ونقل عنهم ياقوت في معجم أدبائه[٢].

وساق صاحب النفح قصة اختباره في مجلس المنصور، ونوه بقوة بديهته قائلا: واستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع... وأمر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له كل شهر ثلاثين ديناراً، وألحقه بالندماء[٣].

وقد نص من ترجموا له على مقدرته في التأليف، ذاكرين كتابه الفصوص في الآداب والأشعار، ومكافأة المنصور له بخمسة آلاف دينار في دفعة، وأمره بأن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزهراء[٤]، ولولا الكذب الذي كان يخالط حديثه أحياناً لكان له شأن فوق شأنه.

(١) الذخيرة ق٤ مج١ / ٢٦ .

(٢) معجم الأدباء ٤ / ١٤٣٩ .

(٣) النفح ٣ / ٨١ .

(٤) انظر أنباه الرواة ٢ / ٨٩ .

القسم الأول

- شعر صاعد البغدادي
- دراسة موضوعية فنية

المبحث الأول
شعر صاعد البغدادي " دراسة موضوعية "

أولاً: المدح:

كان صاعد واحداً من المتكسبين بمدائحهم، المعتفين بشعرهم، قصد أصحاب النفوذ؛ طلبا للمال، فنال ما أمَّله، وحصَّل ما ارتجاه، فعاش زمناً في بحبوحة من العيش أيام تولي المنصور بن أبي عامر زمام الأمر في الأندلس، فقد قربه المنصور من مجلسه، وصحبه معه في غزواته، وأسبغ عليه، فخص مديحه به، وأخلص له حتى بعد وفاته، فتذكر الروايات أنه لم يدخل على أحد من بعده متعللاً بوجع لحق ساقه فأقعده، وكأن الوشيجة الرابطة بينه وبين المنصور منعته الوقوف على باب غيره، فليس ثمة كصاحبه رباطة جأش، وقوة سياسة، وعطاء يد.

والمدائح المتبقية من شعر صاعد تنم على مقدرة متواضعة، وتشي بنظم بارد لا أثر فيه لألق فن أو وثبة خيال، فسبكه نمطي ملوك، ومعانيه سهلة المأخذ، قريبة الغور لا تعدو – في جلها – عن أن تكون تكراراً للسابقين، واحتذاءً للمتقدمين، فليس له فيها كثير حسن إلا استقامة الوزن، واطراد القافية، وتلك ميزات – أن كانت – فلا يعتد بها، أو يعول عليها، فهي من ثوابت الفن وركائزه " فليس كل من عقد وزناً بقافية فقد قال شعراً، الشعر أبعد من ذلك مراماً، وأعز انتظاما [1]"اسمعه يقول مادحاً مجاهد العامري وقد أعطاه:

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني ٤٤٣ .

فَقَـــــالُوا مَـن الوَاهِـبُ المسْـتَقِلُّ عَقَـــائِلَ[1] يُعْيَـــا بِهَـــا الحُسَّـــبُ
فقلـتُ فَتـىً أَصْـــــفَرِيٌّ[2] النّجَـارِ[3] يَـــرُوعُ بـــهِ الْمَشْـرِقَ المغْـــرِبُ
يُحَكِّـــــكُ[4] أَسْـــيَافَهُ بـــــالرَّدَى كَـــمَا حُـــكَّ بِالْهُـــانِئِ[5] الأَجْـــرَبُ

وذلك نظم سائل شاكر وقف به شعره عند حدود التقرير العقلي، والجواب النمطي لسائل عن واهبه الدرر النفيسة، والعقائل الكريمة، وهل في وصفه ممدوحه بـ " فتى – و أصفري النجار " ما يحسب له، ويحمد به ؟، وهل في تقريره بإخافته المشرق، واصطكاك سيفه بالموت، وبصره بالأمور، وتقلبه في وجوه الحيل زيادة مزية على معاني العامة وتعابيرهم في أحاديثهم اليومية عن صاحب نوال، أو باذل عطاء ؟

إن مخايل الأندلس لم ترف بأطيافها على مخيلة الشاعر الوادعة، ولم تنفذ بظلالها إلى مكامن الإبداع في أعماقه، فظل مشدود الأواصر إلى القديم المترسخ في نفسه، ينطلق منه مكرراً ومقلداً، وأمامه نوافذ القول مفتحة كواتها على معارج لم يشأ أن يرقها، راضياً السير في المعبد من المسالك، والمعدّ من الطرق، حتى في تشبيهه، فصورته بدوية ضاربة جذورها في أعماق الصحراء، بعيدة عن واقعه المعاش في بلاد غناء، وطبيعة بكر، فجاءت فاترة في المدح لا طرافة فيها ولا ابتكار.

---

(١) عَقِيلة كُلِّ شيء أَفْضلُه وأَكْرَمُه، والعقائل الدرر النفيسة، ويسْتُعْمِل في الكريم من كل شيء.

(٢) اصفري: من بني الأصفر وهم الروم بوجه عام .

(٣) يريدُ كريمَ الأصلِ والأُرُومةِ والحسَب .

(٤) الحَكُّ إِمْرار جِرْم على جرم صَكّاً به،ويقال تَحَاكَّ الشيئَان إذا اصْطَكَّ جرماهما فَحَكَّ أَحدهما الآخر .

(٥) هَنَأْتُ البعيرَ بالفتح أَهْنَؤُه إِذا طَلَيْتَه بالهِناءِ وهو القَطِرانُ، وهذا الطلاء يكونُ للجمال التي أَصَابها الجَرَبُ .

ويقول في أخرى مادحا المنصور كذلك[1]:

يَـا حِـرْزَ[2] كُـلِّ مُخَـوَّفٍ وَأَمَـانَ كُـلِّ مُشَـرَّدٍ وَمُعِـزَّ كُـلِّ مُـذَلَّلِ
يَـا سِـلْكَ كُـلِّ فَضِـيلَةٍ وِنِظَـامَ كُـلِّ جَزِيلَـةٍ وَثَـرَاءَ كُـلِّ مُعَيَّـلِ
جَـدْوَاكَ[3] إِنْ تَخْصُـصْ بِـهِ فَلَأَهْلُـهُ وَعُمُّ بِالْإِحْسَـانِ كُـلَّ مُؤَمِّـلِ

فالشاعر يعدد فضائل ممدوحه، ويوالي ذكرها في تقاسيم معجبة، لولا حشده العديد من المعاني الباردة التي لا تفكه، والخلال المكرورة التي لا تطرب؛ لتعود الأذن سماعها في بابها، فصاحبه ملجأ الخائفين، وأمان المشردين، ومعز الأذلاء المستضعفين، وهو سلك الفضائل، ونظام العقائل، وغناء المحتاجين، يشمل بإحسانه مؤملي العطاء، وراغبي النوال.

وتلك فضائل تروق العربي، وخلال تطربه، يممها المبدعون الأوائل، فأصابوا بها المحز بعد أن خلعوا عليها من مواهبهم ما استحق الإشادة والإعجاب، فهم لمسوها بعصاهم السحرية، فأحالوا بساطتها عمقاً، وقربها بعداً، وساذجتها جلالاً، وكان على صاعد وقد وقف على ذلك، ووعته ذاكرته أن يرمي عن قوسهم، ويسلك دربهم، لا أن يحشد المعاني فيصوغها سرد ناظم، ويسوقها جمع حاطب، همه في ذلك التعداد لا الفن، وعدته الرصف لا الإبداع.

---

(١) جذوة المقتبس ٢٤٣، ٢٤٤، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥، نفح الطيب ٣/ ٨٢،٨٣ .

(٢) الحِرْزُ: المَكَانُ المنِيعُ يُلْجَأُ إِلَيْه.

(٣) الجَدْوَى: الْعَطِيَّةُ.

وقد أثنى المؤرخون والأدباء على تلك القصيدة، وجعلوها من العجائب الغريبة الاتفاق التي لا يكاد يتفق مثلها، ولا يتبادر إلى الذهن أن مرد ذلك إلى دقة الوصف، وقوة السبك، وبراعة المسلك، والمقدرة المكينة، فالأمر على خلاف ذلك الظن، فالغريبة التي قد لا تتكرر والعجيبة المدهشة ما صاحب القصيدة من توافق مع الواقع، واتساق مع الحادث، فصاعد أتى بأيل " وهو الوعل الضخم " فقيده، وسماه غرسية، وأهداه إلى المنصور متفائلاً بأسره، فحدث أن أسر غرسية بن شانجة، وهو من أشد أعداء المنصور، وكان أمنع من النجم في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيل مقيداً وقد سماه غرسية، وقد حكي أن المنصور قال بسبب هذه القضية: إنه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب إلا لحسن نيته وسريرته، وصفاء باطنه، فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان، ورجحه على أعدائه(١).

وفي تلك المدحة يقول صاعد متفائلاً بأسر غرسية بن شانجة، سائراً في نهجه المعدِّد للخلال المنغَّمة والنعوت المقسَّمة (٢):

مَـوْلَايَ مُـؤْنِسَ غُرْبَتِـي مُتَخَطِّفِـي ... مِـنْ ظُفْـرِ أَيَّـامِي مُمَنِّـعَ مَعْقِـلِي

عَبْدٌ نَشَلْتَ بِضَبْعِهِ(٣) وَغَرَسْتَهُ ... فِي نِعْمَـةٍ أَهْـدَى إِلَيْـكَ بِأَيِّـلِ

سَـمَّيْتُهُ غَرْسِـيَّةً وَبَعَثْـهُ ... فِي حَبْلِـهِ لِيَبُـاحَ فِيـهِ تَفَـاؤُلِي

(١) نفح الطيب ٣/ ٨٢،٨٣ .

(٢) جذوة المقتبس ٢٤٣، ٢٤٤، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٣٥، نفح الطيب ٣/ ٨٢،٨٣ .

(٣) الضبع: العضد، وقيل هي:ما بين الإبط إلى نصف العَضُد من أعلاها.

حتى في ختامه – مع ما للختام من أهمية – فلم يعنِّ نفسه بالجديد المبتكر الذي يبقى أثره في النفس، ووقعه في الأذن، فانتهج سبيلاً سلكه الأوائل – على عادته – فاكتفى بالدعاء لصاحبه بالسقيا والنماء في أرض تملؤها الأنهار، ولا تنقصها النضرة والنماء، وكأن ما علق بذهنه من طيوف الماضي يمسك بتلابيبه، فينطلق منه ابتداء، ويؤوب إليه انتهاء؛ مريحاً عقله من كد الفكر، ونفسه من جهد الخاطر، يقول خاتماً مدحته:

فَلَئِنْ قَبِلْتَ فَتلك أَسْنَى نِعْمَةٍ أَسْدَى بِهَا ذُو مِنْحَةٍ وَتَطَوُّلِ
صَبحَتْكَ غَادِيَةُ السُّرُورِ وَجُلِّتْ أَرْجَاءُ رَبْعِكَ بِالسَّحَابِ المُخْضِلِ

وقد حاول صاعد كمعاصريه أن يمدح المنصور بأسماء بناته، وقد سماهن بأسماء الزهور " بنفسج وبهار ونرجس "، وقد عُرف حبه لهن، وتفاؤله بهن، فعزف شعراؤه على تلك القيثارة أنغاما شجية، وألحاناً مطربة، متخذين من تلك الزهور منفذاً يتسللون منه إلى حيث أرادوا من إشادة ومدح، فلم يكن الوصف –والحالة تلك – مقصوداً لذاته، وإنما موظفا لغاية محجوجة، وهدف مراد، ومن المعاصرين المجيدين في ذلك المكثرين منه بين يدي المنصور " عبد الملك الجزيري [1]"، وقد تابعه صاعد في ذلك، أو ارتضيا النهج، فسلكه كلاهما كلما واتته الفرصة لذلك، يقول صاعد واصفاً البنسفج[2]:

سُقْياً لأَيَّامِ البَنَفْسَجِ إنَّهَا لَو أُنْصِفَتْ لَمْ تَقْتَرِنْ بِنَظِيرِ

(١) انظر مدح الجزيري للمنصور على ألسنة كرائمه في الذخيرة ق٤مج١/ ٤٧، ٤٩،٤٨ .

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي - تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال- دار الثقافة، بيروت – لبنان ط٣/ ١٩٨٣م – جـ٣/ ١٩، ٢٠ .

طَالَـتْ وِلايَتُـهُ وطَـابَ نَسِـيمُهُ وَزَكَـا عَـلى المعْسُـورِ والميْسُـورِ
إِنِّي لأشْـكُرُ صَـبْرَهُ وَوَفَـاءُ شُـكْرِي لِسَـيْفِ الدَّوْلَـةِ المنْصُـورِ

ويقول في الخيري وهو المنثور[1]:

مَـا عَلِمْنَـا اليَـاقُوتَ لِلشَّـمِّ حَتَّـى نَفَحَتْنَـا رَوَائِـحُ لُمْنُثُـورِ
حَاجِـبَ المُلْـكِ لا عَـدَاكَ بَشِـيرٌ بِقُـوحٍ أوْ قَـادِمٌ بِسُـرُورِ

ويقول مفاضلا بين البهار والنرجس[2] خالصا إلى المدح:

جُمَـلُ الـ فَضِـيلَةِ لِلْبُهَـارِ بِسَـبْقِ وَلَطَالَمَـا خَلَـفَ البُهَـارَ النَّـرْجِسُ
أَرْبَـى عَلَيْـهِ طِيبُـهُ وَنَسِـيمُهُ لَكِنَّـهُ عَـنْ نَشْـرِهِ يَتَـنَفَّسُ
كَالحَاجِـبِ الميْمُـونِ شُـبِّهَ فِي العُـلا بِأَبِيـهِ لَكِـنْ فِعْـلَ هَـذَا أَنْفَـسُ

واختلاط المديح بالوصف، أو بالأدق توظيف الوصف في كثير من الأحيان من أجل المديح، سنن راق صاعداً فيممه كلما وجد منافذ القول مشرعة، وضروبه ذات سعة، وذلك ديدن شاعر البلاط، ونديم السلطان، لا ينفك يطريه كلما عنت له سانحة، أو واتته فرصة، ومن ذلك وصفه لمدينة الزاهرة التي بناها المنصور وانتقل إليها[3]:

أَمَـا تَـرَى العَـيْنَ تَجْـرِي فَـوْقَ مَرمَرِهَـا زَهْـواً فَتُجْـرِي عَـلَى أَحْفَافِهَـا الطَّرَبَـا
أَجْرَيْتَهَـا فَطَـرَبَا الزَّاهِـي بِجِرْيَتِهَـا كَـمَا طَمَـوْتَ فَسُـدتَّ العُجْـمَ والعَرَبَـا

(١) السابق ٣/ ٢٠ .
(٢) السابق ٣/ ١٩ .
(٣) نفح الطيب ١ / ٥٨٠،٥٨١

فالوصف لم يكن مراد الشاعر ومقصده، فغايته المديح، فالذي يهم ليس الموصوف في ذاته، وإنما النفوذ منه إلى ما يطرب من إشادة ومدح، و إلا فكثير من الموصوفات لا تستدعي الذكر[1]؛ لولا رغبة مكينة تدفع إلى تلوين المديح، وفتح مجالات للقول تعين وتسعف.

ولم ير صاعد في أحد بعد المنصور ما كان يراه في صاحبه من صفات محببة، فلزم داره، فأرسل إليه المظفر بن المنصور، فاعتذر إليه صاعد بوجع لحق ساقه، إلا أنه قصده ومدحه بقوله[2]:

إليكَ حَدَوْتُ نَاجِيَةَ[3] الرِّكَابِ مُحَمَّلَةً أَمَانِيَ كالْهِضَابِ

وبِعْتُ مُلُوكَ أَهْلِ الشَّرْقِ طُراً بِوَاحِدِهَا وسَيِّدِهَا الُّلبَابِ

وقد فرضت الحياة على الشيخ الهرم في أخريات حياته بعد أن أغرم وافتقر أن يمدح أصحاب الجاه؛ أملا في عطاء يسد عوزه، فمدح علي بن وداعة، واستشفع به، فقال[4]:

تُصَدُّ الْخَيْلُ بِاسْمِكَ فِي غَدِيرٍ عَلَى ظَمَإٍ عَنِ الْمَاءِ القَرَاحِ

تَظُنُّكَ طَالِعاً بِبَنِي سُلَيْمٍ عَلَيْهَا عِنْدَ مُفْتَضَحِ الصَّبَاحِ

---

(١) ومن ذلك وصف صاعد لترنجان عبث به المنصور يوما ثم رماه انظر:الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢١، البيان المغرب ٣ / ١٩، نفح الطيب ٣/ ٩٥، وكذلك وصفه للآس انظر البيان المغرب في أخبار الأندلس ٣/ ١٨، ١٩ .

(٢) جذوة المقتبس ٢٤١، وبغية الملتمس ٣٢٠، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٣ .

(٣) نَاقَةٌ نَاجِيَةٌ: سَرِيْعةٌ .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١ / ٥٤ ، الحلة السيراء ١/ ٢٨٣ .

إِذَا سَـــــاوَرْتَ قِرْنَـــــكَ فِي مَكَـــــرٍّ جَعَلْـتَ لَـهُ ذِرَاعَـكَ كَالوِشَـاحِ[1]

فلم ينتفع بعلي بن وداعة ولا كانت له فيه شفاعة.

ثانياً: الوصف :

من الأغراض الشعرية التي أولاها صاعد عناية واهتماماً الوصف بمختلف شكوله وأنواعه، فهو كغيره يصف ما تقع عليه عينه من موصوفات تروقه وتعجبه، فالشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ينظمه الشاعر متنسكاً في محراب الحسن، أو لاهياً في جمال الحياة، وسحر الطبيعة، يخلص مرة لفنه فيصف للإبداع، وأخرى لنفسه فينعطف إلى حيث يبمم من غايات، فلا يكون الوصف مقصوداً لذاته بقدر ما هو موظف لحاجات في نفس ناظمه، تعينه موهبته فيجيد، أو تقعد به ملكته فيكبو، والمجيد من الشعراء الوصافين هو الذي يقلب السمع بصراً، والمتخيل مشاهداً، مغلفاً ذلك بمشاعر دافعة، وإحساس معين، فإنه ينبغي ألا يعرض الوصف بمنأى عن شعور الواصف وإحساسه، وإلا كان باهتاً، فاقداً لحيوية الحركة، وثنائية التفاعل، وتقريراً لواقع رتيب لا أثر فيه لأمارات فن، ومخايل إبداع.

والشاعر الأندلسي لصيق الصلة بطبيعته الآسرة يبثها ألمه، ويخصها بحديثه، ويتناسى بين ظلالها همومه، فهو صديقها المخلص، وعاشقها الوله، وأنيسها المقيم، فلا غرو أن هام بها، وانطلق منها في روحاته وغدواته، وجعلها متكأ لفنه، ومرتكزاً لأدبه، تتغلغل في تضاعيف شعره أياً كان الغرض الذي إليه يقصد، وكأنها ملهمته التي تمده بضروب القول، ومنافذ الحديث.

---

(١) الوِشَاحُ: السَّيْفُ .

ولعل أول ما يسترعي الانتباه في الوصف عند صاعد البغدادي، وصفه للطبيعة الصامتة وما تحويه من مدن وقصور وتماثيل ونوافير ومنى، وليس صاعد بدعاً من شعراء عصره الذين اهتموا بهذا اللون من الجمال المصنوع، فهو مما يتكرر أمام عيونهم في قصور المنصور وغيره، إضافة إلى أن بعض مظاهر الطبيعة على ما تفيض به من جمال قد لا تستهوي طائفة مثلما يستهويها المصنوع من القصور، وما تعج به من زخارف وتماثيل ونقوش.

على أن أكثر هذه الموصوفات لم تكن مقصودة لذاتها رغم مظاهر الإبداع والتأنق في صنعها، وإنما كثيراً ما كانت تتخذ وسيلة للثناء على أصحابها، ومفترشاً لمدحهم – على ما سبق تقريره في الحديث عن المدح – ومن ذلك وصفه للزاهرة في قوله[1]:

أَمَا تَرَى العَيْنَ تَجْرِي فَوْقَ مَرْوَهَا ... زَهْواً فَتُجْرِي عَلَى أَحْفَافِهَا الطَّرَبَا

أَجْرَيْتَهَا فَطَمَا الزَّاهِي بِجِرْيَتِهَا ... كَمَا طَمَوْتَ فَسُدتَّ العُجْمَ والعَرَبَا

تَخَالُ فِيهِ جُنُودَ المَاءِ رافِلَةً ... مُسْتَلْئِ تٍ[2] تُرِيكَ الدِّرْعَ وَالْلَبَا[3]

تَحُفُّهَا مِنْ فُنُونِ الأَيْكِ زَاهِرَةٌ ... قَدْ أَوْرَقَتْ فِضَّةً إذ أَوْرَقَتْ ذَهَبَا

فصاعد يصور مدينة الزاهرة التي بناها المنصور العامري، واستقدم لها المهرة من الصناع، وأحاطها بأنواع الزينات المدهشة، و الزخارف الآسره، فيعجب الشاعر منها

(١) نفح الطيب ١ / ٥٨٠،٥٨١ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب١ / ٢٧٧.

(٢) مُستلئماتٌ: مُدر عات، و اسْتَلأَم الرجلُ إذا لبِس ما عنده من عُدّةٍ رُمْحٍ وبيضة ومِغْفَر ونَبْل .

(٣) اليَلَبُ محركةً: التّرَسَةُ، أو الدُّروعُ من الجُلودِ، أو جُلودٌ يُخْرَزُ بعضُها إلى بعضٍ لُبَسُ على الرُّؤُوسِ خاصَّةً، والفُولاذُ،وخالِصُ الحَديدِ، وجُنَنٌ من لُبُودٍ حَشْوُها عَسَلٌ ورَمْلٌ، والعظيمُ من كُلّ شيءٍ والجِلْد .

نهرها المترع بالعجائب، الجاري بالغرائب، ففيه من السوابح في جنباته ما يحسبه الرائي جنوداً مدرعات تتغاير صنوفهن، وتتباين ألوانهن، فيجذب النفوس بديع المنظر، ويعجب العيون رائق المظهر، يحفها من فنون الأيك ما يأخذ على المرء عقله، ولا عجب فأوراقها الفضة، وثمارها الذهب، إنها بديعة الصنع يحار الناظر حين يطالع في جنباتها من آيات الجمال، وسور الحسن ما يخلب ويدهش.

ومن هذا الضرب كذلك وصف صاعد قصر المنصور في منيته العامرية بعدما وصفه ابن العريف بقوله (١):

فَالْعَامِرِيَّـــــةُ تَزْهَـــــى عَـــــلَى جَمِيـــــعِ الْمُبَـــــانِي
وَأَنْـــــتَ فِيهَـــــا كَسَـــــيْفٍ قَـــــدْ حَـــــلَّ فِي غُمْـــــدَانِ

فاكتفى ابن العريف في الوصف بتفضيلها دون تعليل على مثيلاتها من المنى والقصور، وشبهها بقصر غمدان الذي يسكنه سيف بن ذي يزن، ملمحاً إلى صلة النسب التي بين المنصور وابن ذي يزن، فانبرى صاعد، وكان بينهما تحاسد وتباغض، فغض من شعره، وقال للمنصور: هَذَا الشِّعْرُ الذِي قَالَهُ قَدْ أَعَدَّهُ وَرَوَّى فيهِ أَقْوِلُ أَنْ أَقُولَ أَحْسَنَ مِنْهُ ارْتِجَالاً، فقالَ لهُ المَنْصُورُ: قُلْ لِيَظْهَرَ صِدْقُ دَعْوَاكَ، فَجَعَلَ يَقُولُ من غيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ:

يَـــا أَيُّهَـــا الْحَاجِـــبُ لُعْـــ ـــــتَلِي عَـــــلَى كِيـــــوَانِ(٢)
وَمَـــــنْ بِـــــهِ قَـــــدْ تَنَـــــاهَى فَخَـــــارُ كُـــــلِّ يَـــــمَانِ

(١) نفح الطيب ١/ ٥٨٢ – ٥٨٤ .

(٢) كِيوَانٌ – هو اسْم أعجميٌّ للكوكب زُحَلٌ .

العَامِرِيَّـــــةُ أَضْـــــحَتْ كَجَنَّـــــةِ الرِّضْـــــوَانِ
فَرِيـــــدَةٌ لَفَرِيـــــدٍ مَـــا بَـــيْنَ أَهْـــلِ الزَّمَـــانِ

فاسْتحسَنَ المَنْصُورُ ارْتجَالَهُ، وقالَ لابنِ العرِّيفِ: مَالكَ فَائدَة في مُناقضَةِ من هـذا ارتجالُـهُ، فكيفَ تكُونُ رَوِيَّتُهُ.

ولا يمكن لمتحدث عن وصف الجمال المصنوع في شعر صاعد أن يغفل وصفه لما أعده له المنصور حين اتهم بالكذب فأراد اختباره، فالقصة ذائعة في بابها، تناولتها مصادر الأدب الأندلسي لطرافتها، واقتدار صاعد على البديهة والارتجال.

فالمنصور على كلفه بالشعر، وحبه للشعراء، كان لا يقرب شاعراً منه إلا بعد امتحان واختبار، وكان يتفنن في صنع أشياء مركبة بطريقة عجيبة، ويطلب ممن يختبره أن يصف ذلك، ولا يتمكن إلا الشاعر المقتدر المحسن، ومن ذلك ما أعده المنصور ليختبر به صاعداً حين وفد إليه، فقد حدث بعد أن اتهمه ابن العريف بالسرقة والكذب أن استدعاه المنصور في صباح اليوم التالي، وأحضر جميع الندماء، فدخل بهم إلى مجلس محفل قد أعد فيه طبقاً عظيماً، فيه السقائف مصنوعة من جميع النواوير، ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري، وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي فيها اللآلئ مثل الحصباء، وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا، وإما أن تشقى بالضد عندنا؛ لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى، وقد وقفت من ذلك على حقيقة، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، وعبر بعضهم عن هذه القصة بقوله: أمر فعبئ له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين، وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ، وكان في البركة حية تسبح، وأحضرها صاعد، فلما شاهد ذلك قال له المنصور: إن هؤلاء يذكرون أن كل ما تأتي به

دعوى لا صحة لها، وهذا طبق ما ظننت أنه عمل لملك مثله، فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره، فقال صاعد بديهة[١]:

أَبَا عَامِرٍ هَلْ غَيْرُ جَدْوَاكَ وَاكِفُ ... وَهَلْ غَيْرُ مَنْ عَادَاكَ فِي الأَرْضِ خَائِفُ

يَسُوقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... وَأَعْجَبُ مَا يَقْلَاهُ عِنْدَكَ وَاصِفُ

وَشَائِعُ[٢] نَوْرٍ صَاغَهَا هَامِرُ الْحَيَا ... عَلَيْهَا فَمِنْهَا عَبْقَرٌ[٣] وَفَارِفُ

وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُسْنُ فِيهَا قَلَّبَتْ ... عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلَاهِي الْوَصَائِفُ

كَمِثْلِ الظِّبَاءِ الْمُسْتَكِنَّةِ كُنَّساً[٤] ... تُظَلِّلُهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفُ

وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاظِرٌ ... إِلَى بِرْكَةٍ ضَمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ

حَصَاهَا اللآلِي سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا[٥] ... مِنَ الرُّقْشِ[٦] مَسْمُومُ اللُّعَابَيْنِ زَاحِفُ

تَرَى مَا تَشَاءُ الْعَيْنُ فِي جَنَبَاتِهَا ... مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى بَيْنَهُنَّ السَّلَاحِفُ

---

(١) وردت القصة في كثير من المصادر الأندلسية بطرق مختلفة وقد تباينت طولا وقصرا حذفا واكتمالا إلا أنها وردت كاملة في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ١٧- ١٩، بدائع البدائة ١٦٣،١٦٤ ، معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥- ١١٦٧، نفح الطيب ٣/ ٧٩- ٨١ .

(٢) الوَشِيعُ: سَقْفُ البَيْتِ،والجَمْعُ وَشائِعُ.

(٣) العَبْقَرُ : موضعٌ تزعم العرب أنه من أرض الجنّ ثم نسبوا إليه كل شئ تعجَّبوا من حِذقه أو جودة صنعته وقوته، وقيل: هو هذه البُسُطُ التي فيهَا الأصْبَاغُ والنُّقُوش .

(٤) الكُنَّسُ:الظِّباء، وَالْبَقَرُ تَكْنِس أَي تسْتَتِرُ وتَدْخُلُ فِي كُنُسِها إِذا اشتدَّ الحرُّ.

(٥) العُبَابُ: المَوْجُ،وقيل: مُعْظَمُ السَّيْلِ، و قِيلَ: عُبَابُ السَّيْلِ:ارْتِفَاعُه وَكَثْرَتُه.

(٦) الرّقْش:الحيات فِيهَا نُقَطُ سَوَادٍ وَبَيَاضٍ .

لقد أجاد صاعد وصف ما كلف به، وتمكن في اقتدار من قلب السمع بصراً، فالقارئ يمكنه رؤية منظر مركب بوضوح من خلال كلماته التي حددت معالم الموصوف، ومثلته مَشَاهِد للسامع دون خفاء أو تعمية.

وفي النفح: فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيته من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر المركب والجارية، فقال: (طويل)

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَاةٌ فِي سَفِينَةٍ ... مُكَلَّلَةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا المَهَاتفُ

إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ المَاءِ تَتَّقِي ... بِسُكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ العَوَاصِفُ

مَتَى كَانَتِ الحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ ... تُصَرَّفُ فِي يُمْنَى يَدَيْهَا المَجَاذِفُ

لَمْ تَرَ عَيْنِي فِي لْبِلَادِ حَدِيقَةً ... تُنَقِّلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ المَنَاصِفُ

وَلَا غَرْوَ أَنْ شَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةٌ ... زَهَتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَى وَالزَّخَارِفُ

فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ نَقْلَ مُتَالِعٍ[1] ... وَرَضْوَى[2] ذَرَتْهَا مِنْ سُطَاكَ العَوَاصِفُ

إِذَا قُلْتَ قَوْلاً أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهَةً ... فَكِلْنِي لَهَا إِنِّي لِجَدِكَ وَاصِفُ

فأمر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب، ما بين غلائل وطيقان وعمائم، وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين ديناراً، وألحق في ديوان الندماء.

(١) مُتَالِعٌ: جبل ببلاد نجد.

(٢) رضوى: جبل ضخم من جبال تهامة .

وهذه بحق لوحة رائقة القسمات، رسم ناظمها بكلماته صورة النواوير البديعة التي صنعت منها سقائف أخاذة، وقد شاكلتها في الحسن جوار من ياسمين تظللها بلغت الغاية في الجمال والحسن، وهن يتطلعن بأبصارهن إلى بركة ماء حوت من الطرائف ما يبهر، فحصاها من اللؤلؤ المتناثر في قعرها، تسبح في لجتها حية سامة، وأعجب من كل ذلك صورة تلك الحسناء التي تقود السفينة باقتدار، تهفو إليها حتى المهاتف وهي تجدف بمجادف من ذهب بمهارة فائقة، وكلما خشيت تتابع الأمواج، وتعاقب الأثباج، احتمت بمن معها من خطر ما تخشاه، وتلك هي المرة الأولى التي يرى فيها حديقة تتناقلها الجواري في أكفها، ولا يفوته وهو الفطن أن يعرج على صاحبه بالمدح المعجب في مختتمه فيقول، ولا عجب أن تطلعت إليك بلهفة هذه الروضة التي زينتها الورود والأزاهير والزخارف، فأنت رجل ذو قوة وعزيمة، فلو رغبت في نقل الجبال الرواسخ، لتحقق ذلك دون عناء.

وثمة تساؤل ملحاح – بعد هذا الطرح – مفاده: هل كان الوصف مقصوداً لذاته عند صاعد، أم كان متكأ لغايات انتجعها الشاعر، ليقضي بها وطراً أراده، و هدفاً قصده ؟ والإجابة سبق التنويه إليها مرات في الحديث عن مديحه، فصاعد شاعر بلاط لا هم له إلا إرضاء سيده، والتقرب منه، وتلك طبيعة أمثاله من المنقطعين للملوك، وذوي الجاه، ومن ثم فلا غرابة أو عجب من ديدنه، وأحسب أنه لو لم تضطره رغائب نفسه، وتطلعات ذاته إلى مصانعة الحكام لكان له شأن مغاير في فنه، فهو على ما يتضح من بديهته وارتجاله يمتلك حساً شعرياً، لكن ضاع منه مفتاحه في سراديب نفس تواقة للمال، باحثة عن الشهرة، غير مبالية إلا بالحظوة والنفوذ في ظلال ملك يعطي ويبذل، ولو

أخلص لفنه -وهو الخبير بدروبه - وعنَّى فكره، وعاش لشعره، ولم يركن إلى محفوظه فاستدعاه كلما أعوزته الحاجة، لكان واحداً من الشعراء الذين يشار إليهم، ويعجب بشعرهم.

ولم يقتصر صاعد في وصفه للجمال المصنوع بمدح سيده، وإنما اقتفى النهج عينه في وصفه للطبيعة المتحركة متمثلة في الربيع والرياض والزهور والأنهار وما شابه، فالمتبقى من شعره يقرر تلك النظرة، ويعضد تلك الرؤية، وقد سبق التنويه إلى شواهد من توظيفه وصف النواوير لمدح المنصور، وسبق التصريح والتدليل على أن الكثير من موصوفاته لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما ساقها وصولاً إلى غاية ارتجاها من ورائها، فما هي إلا وسيلة منتجعة، ومطية مذللة لما وراءها من هدف وقصد.

والمشاكلة بين وصف الزهور والمديح، أو توظيف النواوير للمدح، مسلك يفتح طرائق القول للشاعر فيبدع، ومنافذ القلب للممدوح فيطرب، فهذه معينة للشاعر، وتلك جاذبة للممدوح، وكأن ثنائية الجمال متمثلة في حسن الزهور، و الإعجاب متبدية في معاني المدح جامعة بين الطرفين بحيث يحصل كل منهما على ما يتغياه ويؤمله.

وشواهد صاعد في وصف الزهور ناطقة بما سبق التنويه إليه، ولم يخالف النهج إلا في القليل النادر، ومن ذلك مثلا وصفه للورد في قوله [1]:

لَيَصْرِفَنْ قَائِدُ الْمَنْثُورِ عَسْكَرَهُ ... وَيَنْهَزِمْ إِنَّ جَيْشَ الْوَرْدِ قَدْ وَدَا

شَبَّهْتُهُ وَسَقِيطُ الطَّلِّ تَحْدُرُهُ ... عَنْهُ الرِّيَاحُ وَقَدْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَا

بِخَدِّ ذِي خَجَلٍ أَبْكَتْهُ خَجْلَتُهُ ... حَتَّى تَفَرَّقَ فِيهِ دَمْعُهُ بَدَدَا

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ٢٠ .

في غَـيْرِ أَيَّامِـهِ يُشْـنَى الصَّـبُوحُ وفي أَيَّامِـهِ فَلْـيَكُنْ غَـيُّ الهُـوَى رَشَـدَا

وهو شعر لا يخلو من مسحة الفن، وأمارات النجابة، فتشبيهاته رائقة، وتشخيصاته معجبة، وختامه مكمل لظلال صورته الأخاذة، لولا أنه أخذه من قول أَبي عَليّ البصري[1]:

غيُّ الهَوَى للصبِّ غايةُ رُشده فذريه من حَلِّ الملام وعَقدِهِ

وثمة مقطوعة أخرى في وصف الخيري من بيتين لم يعرج فيها الشاعر على المدح[2]، وثالثة في التفاح [3]وما عداها من وصف النواوير والزهور والفواكه نظمها الشاعر للمدح لا للوصف، إما من تلقاء نفسه كما في وصفه البنفسج والآس والبهار[4] والمنثور[5]، أو بطلب من ممدوحه كما في وصف الترنجان[6]

(١) الوافي بالوفيات للصفدي ٢٢ / ٢٢٥ .

(٢) انظر: الذخيرة ق٤مج١/ ٢١، نفح الطيب ٣/ ٩٧، شرح مقامات الحريري ١/ ١٢١ .

(٣) نزهة الأنام في محاسن أهل الشام ٨٠ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣/ ١٨، ١٩، ٢٠ .

(٥) نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء البدري - دار الرائد العربي – بيروت– ط١/ ١٩٨٠م صـ ١٢٢ .

(٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢١، البيان المغرب ٣ /١٩ ، شرح مقامات الحريري للشريشي – تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م _ جـ١/ ١٢١،١٢٠.

ولصاعد موصوفات أخرى أوردها ابن الكتاني في كتاب التشبيهات، منها وصفه للشتاء والصقيع[١]، ومنها وصف الحرب والطعان والضراب والجيوش والفتح[٢]، ومنها وصف الخيل[٣]، ومنها وصف كأس بلور فيه شراب أصفر[٤]:

جَلَوْتَ لَنَا قِشْرَاً مِنَ الصُّبْحِ مُتْرَعَا مِنَ الشَّمْسِ يعْشَى دُونَهَا لُمُوَسِّمُ[٥]

فَأَعْيُنُا سَكْرَى لِفَرْطِ شُعَاعِهِ وَشَارِبُهَا مِنْ شِدَّةِ السُّكْرِ مُفْحَمُ[٦]

ثالثاً: الغزل:

لم تصرح المصادر التي ترجمت لصاعد قصداً أو عرضاً بتعلقه بامرأة، أو عشقه لها، ولم تلمح كذلك إلى هذا الجانب من حياته، وكأن المرآة في عالمه ثانوية الأهمية، ولعل عدم اكتراثه بكوامن قلبه في شعره دفع المترجمين إلى غض الطرف تساوقاً مع واقعة الشعري الخافت في حديثه عن الحب، وما يستتبعه من وجيب القلب، وتذراف الدمع، وأرق الليل، ونحول الجسم، وما إلى ذلك من لواعج الشوق، وتباريح الغرام، ولو كان لهذا الجانب أثر ملموس لعكست أشعاره كنهه، ولما استطاع كتمانه.

والمتتبع لسيرة الرجل يقف على حياة مملؤة بالتحديات في بلاط يعج بالمنافسين، جعلته يصرف وكده إلى تثبيت المكانة، وإثبات التبريز، ومنادمة ذوي السلطان،

---

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ١٦٦ – ١٦٧ .

(٢) السابق ٢٧٠ .

(٣) السابق ١٨٨ .

(٤)السابق ١٠٠ .

(٥) المُتَوَسِّم: المُتَحَلِّي بِسمَةِ الشُّيُوخِ، وقيل: الوَقُورُ .

(٦) المُفْحَم: العَيِيُّ، أو الَّذِي لَا يَقُولُ الشِّعْرَ، والساكتُ، والذي لَمْ يُطِقْ جَوَابَاً.

ومصاحبته في روحاته وغدواته؛ تحقيقاً لما ارتجاه من عطاء، وأمله من نوال، وحياة كتلك لا تتيح لصاحبها فسحة لنفس تصبو، أو قلب يعشق، لذلك جاءت شواهد غزله – على قلتها – باردة العاطفة، أقرب إلى النظم منها إلى الإحساس والشعور، فلحظات الفراق – تلك التي عرج عليها في غزله – بما يكتنفها من وجيب القلب، وتفتت الكبد، ولوعة الجوانح، لم تجتذب من نفسه الهادئة سوى دمعات يغازل بها ظاعنته التي لا هم لها هي الأخرى إلا رد أعين الرقباء؛ مخافة الوشاية والافتضاح، يقول صاعد[1]:

فَـرَدَّتْ أَعْـيُنَ الرُّقَبَـاءِ حَـيْرَى بِأَلْحَـاظٍ كَأَلْحَـاظِ الْمُـرُوعِ

وَلَمْ يَـكُ فِيَّ إِذْ رَحَلُوا سِوَى أَنْ أُغَـازِلَهُمْ بَـأَطْرَافِ الـدُّمُوعِ

فهذا نظم وادع يفارق محبوبته بدموع باردة برود عاطفته من جهة، وبرود مرتحلته من أخرى، فلا هي وجلة ملتاعة، ولا هو هلع حزين، ولولا طرافة المعنى في بيته الثاني لما استحق الاستحسان والذكر في تشبيهات ابن الكتاني، الذي كانت تربطه بصاعد وشائج تفسر إيراده لعدد من مقطعات صاعد في متخيره.

ويعرض في أخرى لفراق لا يقاسي همومه، أو يعايش أتراحه، لولا تفاحة انشطرت أمام ناظريه، فأثارت كوامن شاعريته، فراح يتلمس تشبيهات لنصفيها، فذَكَّره شطر بحمرة خد محبوبه يوم عانقه، وشطر بحمرة وجهه يوم ارتحاله، يقول صاعد[2]:

تُفَّاحَـةٌ أَذْكَـرَنِي نِصْـفُهَا خَـدَّ حَبِيبِـي يَـوْمَ عَانَقْتُـهُ

ونِصْـفُهُ الآخَـرُ شَـبَّهْتُهُ بِلَـوْنِ وَجْهِـي حِـينَ فَارَقْتُـهُ

(١) التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني–تح د:إحسان عباس–دار الشروق بيروت – ط٣/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م – ١٣٣ .

(٢) نزهة الأنام في محاسن الشام صـ ٨٠ .

ولا يعنيه في ثالثة عند الفراق إلا سؤال محبوبته عن مكانته في قلبها، فتمد كفاً إلى صدرها قائلة سر وادعاً فأنت في سويداء القلب، يقول[1]:

قُلْتُ لَهُ وَالرَّقِيبُ يُعْجِلُهُ مُوَدِّعَاً لِلْفِرَاقِ أَيْنَ أَنَا

فَمَدَّ كَفَّاً إِلَى تَرَائِبِهِ وَقَالَ سِرْ وَادِعَاً فَأَنْتَ هُنَا

والبيتان فيهما من الخفة والظرف مالا يخفى، لكنهما لا يشيان في لحظات الوداع بحرارة العاطفة، وصدق المشاعر.

وقد قلبت الطرف مرات فيما جمعته من شعره بحثاً عن إشارة دالة على عاطفة صادقة أنعطف منها إلى عكس ما قررتُه، إلا أنه في كل مرة ينقلب البصر بعد تطوافته حسيراً دون شاهد يناقض ما سبق تقريره، أو يرده.

بقيت الإشارة إلى بعض أبيات استهل بها صاعد رائيته التي عارض بها أبا نواس في رائيته الشهيرة " أجارة بيتينا أبوك غيور "، ومنها:

خِدَالَ[2] لُبْرَى[3] إِنِّي بِكُنَّ بَصِيرُ طَوَتْكُنَّ عَنِّي خُلْسَةٌ[4] وَقَتِير[5]

ومنها:

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٢٢،نفح الطيب ٣/ ٩٧، شرح مقامات الحريري للشريشي ٥/ ٣٧٨.

(٢) الخَدْلُ: المُمْتَلِئُ والضَّخْمُ،والخَدِلَةُ: المرأةُ الغَليظَةُ الساقِ المُسْتَديرَتُها، أو مُمْتَلِئَةُ الأَعْضَاءِ لَحْماً في دِقَّةِ عِظامٍ

(٣) البُرَةُ: الخَلْخالُ، والجمع بُراتٌ و بُرىً .

(٤) الخَلْسُ: السَّلْبُ والأَخْذُ في نُهْزَةٍ ومُخَاتَلَةٍ .،والاسْمُ منه: الخُلْسَةُ، بالضَّمِّ، وهي النُّهْزَةُ .

(٥) القَتِيرُ: الشِّيْبُ، أَوْ أَولُه . وأَصْلُ القَتِيرِ رُؤُوسُ مَسَامِيرِ حَلَقِ الدُّرُوعِ المُوحُ فيها .

وَبَاتَـتْ كَـمَا بَاتَـتْ مَهَـاةُ خَمِيلَـةٍ لَـهَا جُـؤْذَرٌ[1] عِنْـدَ الصّـرَاةِ[2] عَقِيـر
وقَـدْ أُكِلَـتْ أَشْـلاؤُهُ فَكَأَنَّهَـا مُقَسَّـمَةٌ عِنْـدَ الْقِـدَاحِ جَـزُورُ
كَـمَا بَغَمَـتْ مِـنْ شَـجْوِهَا أُمُّ وَاحِـدٍ أُتِـيحَ لَهَـا مِثْـلُ الزُّجَـاجِ طَرِيـرُ[3]

والأبيات في مجملها –رغم انتقاء المفردات وحشدها – نظم ينقصه الصدق كسابقه في هذا الباب، وسبك يجنح إلى القديم، ويتعلق بأهدابه، وصور بدوية ملوكة، انبثت في تضاعيف شعر عدد غير قليل من الشعراء الأقدمين، فصورة البقرة المسبوعة التي فقدت صغيرها، وبغام الظبية المتقطع شجواً على فراق وحيدها، وغيرهما مما أتى عليه الشاعر من مكرور الأولين ومعاده.

رابعاً: الأغراض الأخرى في شعره:

باستثناء الأغراض الثلاثة " المدح والوصف والغزل " فما تبقى من شعره ليس سوى أبيات متفرقة في مضامين مختلفة، لا يجمع شتاتها غرض، أو ينتظم متفرقها معنى، فله قصيدة في الإخوانيات نظمها رداً على أبي حفص بن برد، افتتحها بقوله [4]:

لَبَّيْـكَ أَلْفَـاً، أَبَـا حَفْـصٍ، إِجَابَـةَ مَـنْ يُـدْلِي إِلَيْـكَ بِـوُدٍّ غَـيْرِ مَأْشُـوبِ

وأخرى قالها يهنئ المنصور بفتح، ومنها قوله[5]:

جَـدَّدْتُ شُـكْرِي لِلْهَـوَى الْمُتَجَـدِّدِ وَعَهِـدْتُ عِنْـدَكَ مِنْـهُ مَـا لَمْ يُعْهَـدِ

(١) الجُؤْذُرُ والجُؤذَرُ: ولد البقرة وفي الصحاح البقرة الوحشية والجمع جآذِرُ .

(٢) المُصَرّاة: هي الناقةُ أَو البَقرة أَو الشاة يُصَرَّى اللبنُ في ضَرْعِها أَي يُجْمَعُ ويُحْبَسُ أياماً .

(٣) الطَّرُّ: سنُّ السِّكِّينِ وحدُّها،وطَرَّ الحَدِيدَةَ يَطُرُّهَا: أَحَدَّها، والطرير المسنونُ الصَّقيل .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٢٩ - ١٣١ .

(٥) أعمال الأعلام لابن الخطيب – تح: ليفي بروفنسال – دار المكشوف بيروت ١٩٥٦م –صـ ٧٢ .

وثالثة يهنئ فيها عبد الرحمن بن المنصور بولاية العهد، ومطلعها[1]:

قَـرَأْتَ كِتَـابَ الجُـودِ وَحْـدَكَ أَوْلا وَأَوْضَـحْتَ مِنْـهُ كُـلَّ مَـا كَـانَ مُشْـكَلَا

فَلَـمَّا تَجَـلَّى الحُسْـنُ مِنْـهُ لَبِسْـتَهُ فَأَحْسَـنْتَ فِي الأَقْـوَامِ أَنْ تَتَفَضَّـلَا

وماعدا ذلك فمقطعات قصار، ونتف لا تتجاوز البيت المفرد والبيتين، ومن ذلك بيتان أوردهما صاحب التشبيهات في باب " شواذ تقل نظائرها "، وهما[2]:

حَتَّـى أَتَـاكَ وَجَيْـهُ لَـكَ نَاصِـحٌ مُتَنَـدِّمٌ مِمَّـا جَنَـاهُ مُنِيـبُ

يَلْـوِي يَدَيْـهِ عَـلى رِضَـاكَ كَـأَنَّمَا يَلْـوِي يَدَيْـهِ بِيُوسُـفٍ يَعْقُـوبُ

وله بيت في الفكاهة مستبرد، ثقيل وقعه، وهو قوله حين انزلقت قدمه، فسقط في بركة ماء وهو بصحبة المنصور، فقال له المنصور: يا أبا العلاء قل في سقطتك، فأطرق، ثم قال[3]:

شَـيْئَانِ كَانَـا فِي الزَّمَـانِ عَجِيَـةً ضَرْطُ ا بْنِ هُبٍ ثُمَّ سِقْطَةُ صَاعِدِ

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي١/ ٩٤ .

(٢) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني صـ٢٧٦

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥، ٣٦، و المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي الأندلسي - تح: د. شوقي ضيف- دار المعارف – القاهرة - ط٣/ ١٩٥٥ جـ١ / ٣٢٢، بدائع البدائه ٢٠١، ونفح الطيب ٣ / ٩٥ .

وبيت رد به على العلماء الذين تندروا بتغريق كتابه الموسوم بالفصوص في البحر[1]، وبيت حاول به إثبات براعته، وقدرته على سبك المعنى في أوجز عبارة، واقصر لفظ، وذلك حين انشد الفقيهُ أَبُو القَاسِم الدَّارِكي الأصبَهَانيُّ ببغداد للشافِعِي (رحمه الله)[2]:

عَلِيَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا بِفِلْسٍ لَكَانَ الْفِلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا

وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِمِثْلِهَا جَمِيعُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلَّ وَأَخْطَرَا

ثم قال لصاعد: أَيُمْكِنُ أنْ تَجْمَع البيتين في بيتٍ ؟، يقول صاعد: قلتُ نعم.

قال:كيفَ ؟ فقلتُ:

عَلِيَّ ثِيَابٌ فَوْقَ قِيمَتِهَا الفِلْسُ وفِيهِنَّ نفْسٌ دُونَ قِيمَتِهَا الإنْسُ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ١٦، نفح الطيب ٣/ ٧٨ .

(٢) الفصوص ٤ / ١٥ .

المبحث الثاني
شعر صاعد البغدادي " دراسة فنية "

أولاً: اللغة والأساليب:

صرح صاعد في مواضع بأن بضاعته اللغة، فهي التي أزلفته إلى الحكام، وقربته من مجالسهم، وفصوصه مليئة بالقضايا اللغوية، وفك المعمى، عاكسة معرفته بتعابير العرب ومراميهم من أساليبهم، فهو الخبير بلغتهم، القادر على استجلاء معانيها، وإيضاح مشكلها، ومن ثم ظلت بعض التراكيب اللغوية المركوزة في ذاكرته زاده في نظمه يستدعيها متى شاء، ويوظفها كلما ألجأته الحاجة إليها دون تغيير في – الغالب – من طريقة السبك ونهج التآلف، وهذه الظاهرة كثيرة في شعره كثرة لافتة، وكأن موروثه الثقافي ومخزونه اللغوي ظل يطل من نوافذ ذاته؛ ليريحه من عنت السبك، ومشقة التعبير، يجنح إلى مستقره ومنصوصه، فيوظفه للتعبير عن مراده دون إجهاد خاطر، أو كد عقل، ومن تلك التراكيب القديمة الجاهزة، قول العرب: " فلان غمر البديهة " تلك التي استخدمها صاعد في قوله(١):

وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ الْمِضْمَارِ مُنْصَلِتٌ غَمْرُ الْبَدِيهَةِ رَوَّاضُ الْمَصَاعِيبِ

وقد سبقه إليها جرير في قوله(٢):

طَاحَ الفَرَزْدَقُ في الرّهَانِ، وَعَمّهُ غَمْرُ البَدِيهَةِ صَادِقُ المِضْمَارِ

والشماخ بن ضرار في قوله(٣):

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣١.

(٢) شرح ديوان جرجير للصاوي – مطبعة الصاوي –القاهرة – صـ ٣١٧ .

(٣) ديوان الشماخ بن ضرار – تح: صلاح الدين الهادي – دار المعارف بمصر – القاهرة – صـ ١١٢.

فـاجْروا الرِّهـانَ فـإنّي مـا بقيـتُ لكـمْ غَمْـرُ البَديهَـةِ عَـدَّاءُ القَرَادِيـدِ

ومنها كذلك " صم الأنابيب " التي اختتم بها بيته[١]:

رَمَيْنَنِـي بِسِـهَامٍ غَـيْرِ طَائِشَـةٍ حُـورٌ زَرَيْـنَ عَـلَى صُـمِّ الأَنَابِيـبِ

فقد سبقه إليها النابغة في قوله[٢]:

تَدْعُو قُعَيْنا وقدْ عَضّ الحديدُ بهَا عضَّ الثِّقافِ على صُمِّ الأنابِيبِ

والمعري في قوله[٣]:

ولا مِتَرَسْها، وخيلُ القوم جائلةٌ أيدي الفوارسِ من صُمّ الأنابيبِ

ومن أمثلتها كذلك "رخو اليدين[٤] " و "حول قلب[٥] " و"عقاب الدجن[٦]" و" لبيك ألفاً[٧] " و"مصوب ومصعد[٨] " و" قرع الظنابيب[٩] "و" غزو كولغ الذئب[١٠] "وغيرها من التراكيب المعدة المستخدمة في أشعار السابقين، والدائرة على

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠.

(٢) ديوان النابغة – شرح حنا نصر الحتى – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١/ ١٩٩١م – صـ ٣٩ .

(٣) ديوان أبي العلاء المعري ٦٧ .

(٤) انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ١١ .

(٥) انظر السابق ق٤- مج ١/ ١٢.

(٦) انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١ / ٥٤ ، الحلة السيراء ١/ ٢٨٣ .

(٧) انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠ .

(٨) انظر أعمال الأعلام لابن الخطيب ٧٢،٧٣.

(٩) انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠.

(١٠) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٨ .

ألسنتهم، والتي استخدمها في شعره بنصها دون حذف أو زيادة، كما اقتفى سننهم في مواضع تلك التراكيب من أبياتهم، فغمر البديهة تركيب وظفه في مفتتح الشطر الثاني مثلهم تماماً بتمام، في حين ختم بصم الأنابيب بيته كما فعلوا، وابتدأ بغزو كولغ الذئب في مستهل بيته مشاكلا لهم في مفتتحهم، وهذا مرده إلى ترسخ هذه الأساليب في كوامن نفسه، ودقة معرفته بها، واحتذائه نهجهم تأثراً بهم، وإعجاباً بطرائقهم، ومسالك نظمهم.

وقضية المناسبة بين اللغة والغرض الشعري يستمليها من يجيل الطرف في قصائد صاعد ومقطعاته، فقد راعى في اختيار المفردات، وصوغ الأساليب، الغرض الذي إليه يقصد، فتخير له ما يناسبه ويلائمه، فجاء المدح مغايراً للغزل، ووصف الحرب والطعان مبايناً لوصف الربيع والأنهار، فلكل ما يشاكله من نهج هو أملك به، وسبك لا يشاركه الآخر فيه، وأسوق تدليلاً قوله في الغزل(١):

قُلْتُ لَهُ وَالرَّقِيبُ يُعْجِلُهُ ... مُوَدِّعَاً لِلْفِرَاقِ أَيْنَ أَنَا

فَمَدَّ كَفَّاً إِلَى تَرَائِبِهِ ... وَقَالَ سِرْ وَادِعَاً فَأَنْتَ هُنَا

وقوله في وصف انصبابة الخيل لغارة(٢):

غَزْوٌ كَوَلْغِ الذِّئْبِ عَنْ ظَمَأٍ ... فِي بَارِدٍ خَصِرٍ مِنَ الشُّعَبِ

تُزجَى الْجِيَادُ إِلى الْجِيَادِ كَمَا ... تُزجَى الْخَوَامِسُ لَيْلَةَ القَرَبِ(٣)

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢٢، نفح الطيب ٣/ ٩٧ .

(٢) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٨

(٣) القَرَب: سَيْرُ اللَّيلِ لِوُرودِ الماء في الغَدِ، وقيل القَرَبُ طَلَبُ الماءِ لأيٍّ لإرواء الإبل الخوامس العطاش.

فَكَأَنَّهَـــا هِـــيَ غَـــيْرَ أَنَّ لَهَـــا شُرْبـــاً تُفَجِّـــرُهُ بِـــذِي شُـــطَبِ

فاختلاف الألفاظ رقة وقوة، سهولة وجزالة، سنن أملاه الغرض الشعري، والمعنى المحجوج، وما كان ذلك ليغيب عن صاعد الناقد الأديب.

وشعره وإن اتسم – في جله – بسهولة الألفاظ، ووضوح المفردات، فإن بعضه جنح إلى الوعورة، واستخدام الكلمات الغريبة التي تحتاج استنطاق بطون المعاجم لاستظهار معناها وجلاء غموضها؛ تأثراً بالموروث اللغوي، واستثماراً للمفردات والتراكيب الغريبة التي طالما عالن بأن له فيها قصب السبق، والقدح المعلى، والمعرفة المكينة التي تتيح له التعامل معها إبانة وشرحاً في أشعار غيره، وتوظيفاً وسبكاً في نظمه، ومن ذلك استخدامه لكلمة " شُطَب "، والشطب من الإبل: المهْزولة كأَنها سَعَفَةٌ نخل في دِقَّتِها، أي أَنها قليلة اللحم ضعيفة، وقيل: هي الطرائق، وقيل: الشُطَبُ القِطْعَةُ مِنْ سَنامِ البَعيرِ تُقْطَعُ طُولاً، وذلك في قوله(١):

فَكَأَنَّهَـــا هِـــيَ غَـــيْرَ أَنَّ لَهَـــا شُرْبـــاً تُفَجِّـــرُهُ بِـــذِي شُـــطَبِ

وكلمة " شَذَا " بمعنى: الشَّرّ والأَذَى، و " مُلَدَّد " بمعنى: القويّ الطَّوِيل، وأَصْلُ الأَلَدّ: الطَّوِيلُ الأَخْدَعِ من الإِبلِ، و" مَخْشُوب " يقال:خَشَبَ السَّيْفَ: طَبَعَهُ أَي بَرَدَهُ وَلم يَصْقُلْهُ. وكلها في قوله(٢):

حَتَّـى أَقِيـكَ شَـذَا الْأَيَّـامِ عَـنْ عَضُـدٍ مُلَـدَّدٍ وَحُسَـامٍ غَـيْرِ مَخْشُـوبِ

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٨.

(٢) انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠.

وكلمة " الخَرَاعِيب " والخُرْعُوبُ: الغَضُّ أَو القَضِيبُ النَّاعِمُ، وقيل: القِطْعةُ مِنَ القَرْعةِ، والقِثَّاءِ، والشَّحْمِ، في قوله[1]:

فَـلَا تَسُـومَنَّ شَـيْخَاً طَـارَ طَـائِرُهُ سَـوْمَ الشَّـبِيبَةِ فِي لُهْـوِ الخُرَاعِيـبِ

وكلمة " تَلِيلُهُ " والتلِيْلُ: العُنُقُ؛ لانْدِمَاجِه، والتِّلةُ: شَيْءٌ من وَصْفِ الإِبِلِ، وهي البِلَّةُ بالفَمِ، والتَّلَلُ: البَلَلُ، و كلمة " قُصُوصُهُ " والقُصّة من الفرس: شعر الناصية وقيل ما أَقْبَلَ من الناصية على الوجه، و كذلك كلمة " لُزَّت " واللَّز: لُزُوْمُ الشيْءِ بالشَّيْءِ، والتصاقه به، وكلمة " دأياتها " وهي بمعنى: عظام الكتف أو خرز العنق. وكلها وظفها صاعد في قوله[2]:

ريَّـانُ حيـثُ تَلِيلُـهُ ظَمْـآنُ حيـ ثُ قُصُوصُـهُ لُـزَّتْ إلى دَأْيَاتِهَـا

وكلمة " خِنْبِشَار " ومعناها فيما ادعاه صاعد:حشيشَـةٌ يُعْقَدُ بها اللبنُ ببادِيةِ الأَعْرَابِ: يقول[3]:

لَقَـدْ عُقِـدَتْ مَحَبَّهَـا بِقَلْبِـي كَـمَا عُقِـدَ الحَلِيـبُ بِخِنْبِشَـارِ

و كلمة " الصّرَاة، و" أَسَابِيّ و عَتِير[4] " وغيرها كثير منبث في تضاعيف شعره.

ومن الظواهر اللغوية التي تجدر الإشارة إليها استخدام الألفاظ المتلازمة، أو بالأدق اللفظتين المترابطتين اللتين اعتاد الناس الجمع بينهما في كلامهم العادي، حتى

(١) السابق ق١ مج١/ ١٣١.

(٢) السابق ق١ مج١/ ١٣١.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٣٢،٣٣ ، نفح الطيب ٣/ ٨١ .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ق٤ مج١/ ٢٢،٢٣ .

أصبحا تراكيب تقليدية قلما انفكا في معرض الحديث اليومي، ومثل هذه التراكيب وإن كانت مألوفة مستساغة إلا أن الشعراء بمواهبهم وملكاتهم يجيدون توظيفها، ويحسنون سبكها، ويبتعدون بها درجات عن اللغة العادية حتى لا يشعر المتلقي بذلك التلازم المعتاد على الألسنة، والاستدعاء غير المقصود، ومن هذا الضرب "السمر و القضبا " في قوله(١):

بِغَـزْوةٍ في قُلُـوبِ الشِّـرْكِ رائِعَـةٍ بَـيْنَ المُنَايَـا تُنَـاغِي السُّـمْرَ والقُضُـبَا

وجمعه بين " الدر والياقوت " في قوله(٢):

قَـدْ أَقْبَـلَ المُثُـورُ يَاسَـيِّدِي كَالـدُّرِّ وَيْـاقُوتِ فِي نَظْمِـهِ

و " العجم والعرب " في قوله(٣):

أَجْرَيْتَهَـا فَطَـمَا الزَّاهِـي بِجِرْيَتِهَـا كَـمَا طَمَـوْتَ فَسُـدتَّ العُجْـمَ والعَرَبَـا

كما يمم صاعد في نظمه صوب الترادف السياقي أحيانا، فكان يأتي باللفظين بمعنى واحد متجاورتين في ختام البيت الشعري؛ لإبراز المضمون الانفعالي للكلمة الأولى بذكر مرادفها الذي يشترك معها في المعنى، أو التركيز على مراده بإعادته ثانية من خلال المرادف الذي يكشف عن حساسية الشاعر بالمعنى، ورغبته في تضوىء جوانبه، والتركيز عليه؛ لقوة دلالته على غرض في نفسه يجلِّيه التكرار، وتظهره الإعادة، وقد تدفعه إلى ذلك قافية البيت التي لا يجيد ختمها إلا بمفردة تتسق مع سابقتها وتتفق، ومن ذلك جمعه بين

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب١ / ٢٧٧.

(٢) نزهة الأنام في محاسن الشام صـ ٨٤.

(٣) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب١ / ٢٧٧.

" الدرع واليلب " في ختام بيته، والدرع معروف، أما اليَلَبُ محركةً: فالتّرَسَةُ، أو الدُّروعُ من الجُلودِ، وذلك في قوله[١]:

تَخَــالُ فِيــهِ جُنُــودَ المَــاءِ رافِلَــةً مُسْتَلْئِمَاتٍ تُرِيـكَ الـدِّ رْعَ وَاليَلَبَـا

" حول قلب " في ختام بيته[٢]:

فَلَــولا شَــجَاعَتُهُ مَــا نَجَــا وَلَكِنَّــهُ حُــوَّلٌ قُلَّــبُ[٣]

و " اللعس المخاضيب " في قوله[٤]:

إِيَّــاكَ وَالمَوْعِــدَ الخُــوَّانَ[٥] مُقْبَلُــهُ فَـلَا أَمَانَـةَ لِلُّعْـسِ[٦] المَخَاضِـيبِ

وقوله "ذو منحة وتطول[٧]"، وقوله"تسهيد وتعذيب[٨] " وقوله "رنة وزفير[٩]"، وكلها جاءت في خواتيم أبياته، إعادة للمعنى، وإبرازاً له، وتتميماً للقافية التي تفرض عليه كلمة مرادفة لسابقتها؛ ليستقيم الوزن، ويتسق الروي.

(١) نفح الطيب ١ / ٥٨٠،٥٨١ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب١ / ٢٧٧.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤- مج ١/ ١٢

(٣) فلان حُوَّلٌ قلبٌ، أي: يتقلب في وجوه الحيل .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠.

(٥) المَوْعِد الخَوَّان: الكَاذِبُ الذي لا يكون .

(٦) اللَّعَسُ: لَوْنُ الشَّفَةِ إِذا كانَتْ تَضْرِبُ إِلى السَّوَادِ قَلِيلاً، وَذَلِكَ مِمّا يُسْتَمْلَحُ .

(٧) الذخيرة ق٤مج١/ ٣٥ .

(٨) السابق ق١ مج١/ ١٣١.

(٩) السابق ق٤ مج١/ ٢٣ .

وصاعد كغيره من الشعراء، يسبيه اللفظ الحسن، والمعنى البديع، فإذا نظم أو نثر تأنق في اختيار مفرداته، وتجمل في صوغها، واختار لها من الأساليب والأصباغ ما يزيد اللفظ جمالاً، والتركيب حسناً، ومن هنا وظف المحسنات البديعية في شعره، وما كان ليغيب عنه أن الشاعر متى كان مجوداً، جاء نتاجه قريب المأخذ، سهل الطريقة، رائق المنزع، يسري بومضات جماله، وقبسات حسنه إلى حيث أراد له صاحبه من نفس السامع وعقله، أما إذا أجهد الفكر في تصيد المحسنات، وأعمل العقل في التنسيق بينها، ولهث وراءها، وبالغ تصنعاً في إيراد طباقها وجناسها، جاء أدبه ثقيلاً بارداً تمجه الأذواق السليمة، وتلفظه الفطر السوية.

والقارئ لشعر صاعد يقف على أن أكثر ما ورد فيه من صبغ بديعي، جاء مقبولاً مستساغاً، لا أثر فيه لصنعة ثقيلة، أو تكلف مستبرد، أو إجهاد خاطر باد.

و الطباق واحد من المحسنات المنتجعة في شعره، وهو لون بديعي، يكسب المعنى جمالاً، وتتحدد قيمته في النص الذي يحتويه بمقدار ما يبين عنه من عواطف تتبدى ماثلة من خلال شوابك الاتصال الخفية التي تربط بين المتناقضين، إضافة إلى إبراز المعنى عن طريق المفارقات المقصودة التي يخلع عليها الشاعر من ألقه ما يجعلها مستساغة، توضح المعنى، وتقربه.

وهو من بين ألوان البديع يمثل ظاهرة قوية – لذا وجب التنويه عليه دون غيره – ويكتفى منه بظاهرتين لافتتين، الأولى: إيراد الطباق في نهاية البيت الشعري، متخذاً من ذلك المختتم قراراً ينيخ عنده معناه، ويلقى عصا تسياره، تاركاً للمحسن مساحة من

الحرية للتعبير عن المراد من خلال الإيحاءات التي تقذفها الكلمتان المتضادتان في النفس دون شرح أو تفصيل، ومن أمثلة ذلك مطابقته بين"عال، وصبب"في قوله[١]:

خَاضَ الْبِحَارَ إِلَيْهِمُ وَهَوَى كَالسَّيْلِ مِنْ عَالٍ إلى صَبَب

وكذلك مطابقته بين " يرقع، وخرقت " في قوله[٢]:

يَا مَنْ يُرَقِّعُ بِالآمَالِ مَا خَرَقَتْ يَدَا اللَيَالِي، قَبِيحٌ صَبْوَةُ الشِّيبِ

ومن هذا الضرب كذلك مطابقته بين " الروية والبديه " في قوله[٣]:

مَنْ لَيْسَ يُدْرَكُ بِالرَّوِيَّةِ كَيْفَ يُدْرَكُ بِالبَدِيهِ

وهذا اللون كثير في شعره لا يحتاج إلى زيادة تدليل واستشهاد.

والثاني طباق السلب فيجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي، وما شاكل، وهذا النوع رغم بساطته وسطحيته أحياناً، إلا أنه يتيح للشاعر التعبير عن مقصوده دون جهد أو تعب، فهو أقل في فنيته وحسنه من سابقه، وقد أورده صاعد في عدد غير قليل من أبياته؛ للإبانة عن معناه بأقصر طريقة، وأيسر صياغة، وأقل جهد، ومن ذلك قوله[٤]:

جَدَّدْتُ شُكْرِي لِلْهَوَى الْمُتَجَدِّدِ وَعَهِدْتُ عِنْدَكَ مِنْهُ مَا لَمْ يُعْهَدِ

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٢٠٨ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣٠.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ق٤ مج١/ ٢٢ .

(٤) أعمال الأعلام لابن الخطيب ٧٢،٧٣.

وقوله[1]:

فِي مَعْرِضٍ سَجَدَ الرَّوْضُ الأنِيقُ لَهُ وَلَوْ أَتَاهُ فَتِيتُ الْمِسْكِ مَا سَجَدَا

وشعره كغيره فيه من الأساليب والتراكيب والأصباغ والمجازات والتكرار ما لا يحتاج إلى تسطير أو ذكر، إما لوضوحها وضوحاً يغني عن التحليل والشرح، وإما لندرتها ندرة لا تستدعي الوقوف والتنويه، بخلاف ما سبق عرضه في الباب، فمرده إلى كثرته في شعره، وتكرره في مواضع من نظمه كثرة وتكراراً يدعوان إلى البسط؛ لإظهار القسمات بما يتناسب والغرض المنشود غاية ومساحة في هذا التناول والطرح.

ثانياً: موسيقى الشعر:

إن الكلمة الشاعرة التي تسري بمضائها إلى حيث مسارب النفس، فتسبي العقل، وتخلب اللب، وتتسلل منسابة لتلامس شغاف القلب، وتمازج رهافة الوجدان، يزيد من قوة تأثيرها ما يكتنفها من توقيعات آسرة، وترنيمات جاذبة تتوالى على نحو منتظم يسلك القصيدة من مبدئها إلى منتهاها، فيطرب لها أصحاب الفطر الصحيحة، والأذواق السوية، ويهتزون لها ويتأثرون بها، ويترنمون بأبياتها الموسقة التي تتناغم مع الجمال المنشود والحسن المنتجع.

وأول ما تجدر إليه الإشارة في هذا الباب التزام صاعد بالبحور الخليلية، والأوزان التقليدية، فقد نظم في قوالبها، وتمكن أن يذلل صعبها، ويمتطي صهوتها، متنقلا بين طويلها وقصيرها، جادها وراقصها، سريعها ووئيدها، كاملها ومجزوئها، تاركاً العنان لذوب مشاعره، وفيض وجيبه، ودرجة انفعاله للاتجاه إلى ما يناسبها، والقصد إلى ما

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – جـ٣ / ٢٠ .

يشاكلها بحيث تأتي التجربة مفرغة في وعائها الذي ارتأه كافياً لصوغها حسب ما يميزه من توقيعات وتفعيلات وزحافات وعلل.

وبعد استقراء المتبقى من شعر صاعد وحصره، يمكن الاطمئنان إلى النتائج الآتية فيما يتصل بالحديث عن موسيقاه الخارجية متمثلة في الأوزان والقوافي:

أولا: الأوزان:-

١ – كان صاعد الحافظ لأشعار العرب بما يملك من حس أدبي، ونزعة تراثية، يميل إلى البحور الطوال الفخمة التي نظم عليها الأقدمون جل أشعارهم مثل الطويل والبسيط والكامل، ومن ثم جاء المتبقى من شعره منصباً في قوالب تلك البحور، وأكثرها وروداً في شعره الكامل، الذي نظم عليه ثلاث قصائد تنوع رويها بين الدال والفاء واللام، وتسع مقطوعات، في حين ركب الطويل والبسيط بنسب متساوية، فقد نظم في الطويل قصيدتين وست مقطوعات، أما البسيط فنظم عليه قصيدة واحدة وست مقطوعات.

٢ – يلي هذه البحور في النظم الوافر، فله فيه قصيدة وخمس مقطوعات، يليه السريع والمتقارب، فله في السريع ثلاث مقطوعات، أما في المتقارب فقصيدة ومقطوعتان، ثم يأتي بعدهما المنسرح وله فيه مقطوعتان، ثم الخفيف والمجتث والرمل وله في كل مقطوعة واحدة.

٣ – لم يبمم صاعد صوب البحور المجزوءة إلا في مقطوعة واحدة عدد أبياتها اثنان نظمها على مجزوء الكامل حين طلب منه المنصور بن أبي عامر معارضة رائية أبي نواس " أجارة بيتينا أبوك غيور " فأجابه صاعد بقوله[1]:

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ق٤ مج١/ ٢٢.

١ - إِنِّي لَمُسْـــــتَحْيٍ عُـــــلا كَ مِــن ارْتِجَــالِ الْقَــوْلِ فِيــهِ

٢- مَـنْ لَـيْسَ يُـدْرَكُ بِالرَّوِيَّـ ـــةِ كَيْــفَ يُــدْرَكُ بِالبَدِيــهِ

٤ - النظرة المتأنية لتلمس العلاقة بين الوزن والغرض الشعري، تبين أن صاعداً انتجع البحور الخليلية، فبثها أشجانه، وأودعها مشاعره، وضمنها أغراضه، ولم يقصر بحراً بعينه على غرض محدد، بل نظم المعنى الواحد في أوزان متعددة، تاركاً الخيال لعنانه في أن يمتطي صهوة البحر الذي يركبه دون تحديد أو قصد، ومن ثم جاء المديح مثلا مبثوثا في ثنايا الطويل والبسيط والكامل والمتقارب والمنسرح والرمل رغم ما فيهم من اختلاف في الوزن والإيقاع والنغم.

ثانيا القوافي:

أما فيما يتصل بالقوافي، فالثابت أن صاعداً لم يكن يميل إلى القوافي المقيدة الساكنة الروي، وإنما كان شديد الميل إلى القوافي المطلقة المكسورة والمضمومة والمفتوحة، وقد جاءت تلك القوافي في شعره قلة وكثرة متسقة مع قوة الحركات الثلاث، فالروي المكسور وهو الأقوى جاء في شعر صاعد أربعاً وعشرين مرة، يليه الروي المضموم الذي انتجعه أربع عشرة مرة، في حين وقع الروي المفتوح تالياً لهما في خمس مقطوعات، أما القوافي المقيدة فلم ينظم عليها غير بيت واحد جاء رداً على تندر العلماء بتغريق فصوصه في النهر وهو قوله[1]:

عَـــــادَ إلى عُنْصُـــرِهِ إِنَّـــــمَا يَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ البِحَارِ الفُصُوصْ

(١) الذخيرة ق٤مج١/ ١٦، المعجب ٣٣، معجم الأدباء ٤/ ١٤٤١، النفح ٣/ ٧٨ .

ومقطوعة ثانية من خمسة أبيات نظمها في مدح المنصور بن أبي عامر، ومنها قوله[1]:

قَدْ وَجَدْنَا الدَّمْعَ أَشْفَى لِلْكَمَدْ وَأَيْنَا الغَيَّ أَدْنَى لِلرَّشَدْ

والَّذِي أَعْطَى أَبَا عَامِرٍ الـ ـمُلْكَ وَالدِّينَ وَنَصْرَ المُضْطَهَدْ

وحرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة جزء لا يتجزأ من القافية، وهو الحرف الذي يلازم القوافي جميعها؛ لأن القصيدة تنسب إليه وتسمى به، وتكراره في نهايات الأبيات بصورة رتيبة يجعله كالتفعيلة السارية في أوصال الأبيات، له إيقاعه وموسيقاه.

وليست الحروف متساوية في ورودها روياً لقصائد صاعد ومقطعاته، فثمة تفاوت في شيوعها أملته طبيعتها، مما حدا به إلى قصد بعضها وهجر الآخر بدافع من خصائص تلك الحروف في مختتم الكلمات في النسيج اللغوي.

وقد اعتمد في اختياره الروي على الذوق الفردي المتمرس في استقراء النصوص، والمعرفة بمواقع الكلمات، ودلالتها، وتأثرها، ودرجة تقبلها، وهذا ما جعله يستخدم القوافي الذلل، وينفر من حوشيها، فلم يرد في المتبقى من شعره روياً حوشياً كالثاء والخاء والذال والشين والظاء وما شابه، بل جاء رويه كله في القوافي المألوفة الكثيرة الاستعمال في نظم الأقدمين، وأكثر الحروف روياً في شعره "الباء " فقد بنى عليها ثلاث قصائد وست مقطعات، يليها "الراء" التي وظفها روياً في سبع مقطعات، ثم " الدال " و " السين " بنسب متساوية، إذ استخدم كلاً من الحرفين روياً في خمس مرات، ثم جاءت "الميم " تالية في أربع مقطعات، و" اللام " في قصيدة ومقطعتين، في حين جاءت "التاء

(١) الفصوص ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩ .

والفاء والقاف والنون " روياً مرتين، أما "الحاء والصاد والعين" فقد وردت روياً مرة واحدة في شعره.

ولم يقع في أشعار صاعد – وهو العروضي الفطن – من عيوب القافية المنصوص عليها إلا الإيطاء، ويقصد به: اتحاد كلمة الروي في اللفظ والمعنى، وتكرارها دون أن يفصل بين المكررين سبعة أبيات، وفي القضية تفصيلات لا داعي لسردها، فالذي يهم أن صاعداً ورد الإيطاء في شعره مرة واحدة في فائيته التي ارتجلها في مجلس المنصور، ففيها أعاد كلمة " العواصف " بلفظها ومعناها مرتين، ولم يفصل بينهما سوى ثلاثة أبيات، وذلك في قوله[1]:

١- إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ المَاءِ تَتَّقِي ... بِسُكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ العَوَاصِفُ

٢- مَتَى كَانَتِ الحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ ... تُصَرَّفُ فِي يُمْنَى يَدَيْهَا المَجَاذِفُ

٣- لَمْ تَرَ عَيْنِي فِي لُبِلَادِ حَدِيقَةً ... تُنَقِّلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ المَنَاصِفُ

٤- وَلَا غَرْوَ أَنْ شَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةٌ ... زَهَتْهَا أَزَاهِيرُ الرُّبَى وَالزَّخَارِفُ

٥- فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ قُلَ مُتَالِعٍ ... وَرَضْوَى ذَرَتْهَا مِنْ سُطَاكَ العَوَاصِفُ

إلا أن ذلك الإيطاء يزول عند اعتماد رواية بدائع البدائه للأبيات، ففيها " الرواجف " بدلا من "العواصف " الأولى.

ولا يمكن لمتحدث عن الموسيقى إغفال شأن الموسيقى الداخلية، فمن البدهي أن موسيقى الشعر لا تقتصر على الوزن والقافية فحسب، وإنما ثمة مظاهر داخلية تؤدي

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ١٨، ١٩، بدائع البدائة ١٦٤، معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥- ١١٦٧.

دوراً مؤثراً في إيقاع البيت وتنغيمه، ومن خلال هذه المظاهر يكتسب الشعر حياة جمالية مؤثرة، وقيما فنية ممتعة، كلما أحسن الشاعر توظيفها، وأجاد تقسيمها، وتوزيعها بوعي، مراعياً مشاكلتها للمعنى، وموافقتها للقصد، كانت أوقع في نفس السامع، وأجذب لقلبه، فما أروع أن تلامس أذنه المعاني اللطيفة التي حلق بها صاحبها في سماوات الفن، موشاة بالموسيقى المطربة، والتقسيمات الآسرة، والتوقيعات المعجبة، وما أجمل أن يهتز المتلقي لإبداع الحاذق من الشعراء حين يراه يؤلف بين كلماته، ويجزئ وحداته، وينوع إيقاعاته، ويماثل ويشاكل ويوشح ويصرع ويدور ويكرر ويجانس ويقابل، ويخلع من إهاب فنه ألقاً من فيض موهبته، وبهاء من وثبات فكره، ورونقاً من حسن خياله.

وثمة ظواهر فنية تدخل في إطار هذا الجانب من الدراسة نعرج منها على ما يمثل أهمية في شعره، ومنها "التقفية"، وهو جعل آخر المصراع في البيت الأول يشابه و يشاكل قافيتها، وهو مستحسن في مستهل القصائد؛ إذ يشي بأن المتحدث آخذ في كلام منظوم، فيتأهب المتلقي لسماعه، ويستعد لتلقيه، ويطرب منذ مفتتحه لائتناس الأذن بتكرر النغم مرتين في نهاية شطري البيت الأول، فليسا نقطتي استكانة وتوقف للتقسيم، والتقاط الأنفاس، بقدر ما يحملان من أنساق إيقاعية متساوية تعجب منذ البدء وتجذب.

وقد ورد ت التقفية في بعض مفتتحات صاعد، سيراً على سنن الشعراء في ذلك، ومن ذلك قوله[1]:

إليكَ حَدَوْتُ نَاجِيَةَ الرِّكَابِ مُحَمَّلَةً أَمَانِيَ كالهِضَابِ

وقوله[2]:

(١) جذوة المقتبس ٢٤١، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٣ .

(٢) البيان المغرب ٣ / ٣٥ .

يَا مَنْ أَعَانَكَا مِنْ عَدْلِهِ عُمَرا حَتَّـى جَنَاهُ مِـنْ مَلْحُـودِهِ نُشِرَا

وقوله(١):

قَـرَأْتَ كِتَـابَ الْجُـودِ وَحْـدَكَ أَوْلا وَأَوْضَحْتَ مِنْهُ كُلَّ مَا كَانَ مُشْكَلَا

ويلحق بالموسيقى الداخلية حسن التقسيم، وبراعة التجزئة أو التقطيع داخل البيت الواحد، فذلك مما يزيد في موسيقاه، حيث إن التقسيم إلى جمل قصيرة تتشابه في بنيتها التركيبية، وتتوافق في نسقها الإيقاعي، وتتشابه أو تتباين مع القافية، مما تطرب له الأذن، وتسعد به النفس، إذ يتيح لها فرصة للتطريب والاهتزاز من خلال الوقفات المنغمة بين الجمل المتموجة القائمة على هندسة صوتية متماثلة في شكلها، ناهيك عن السكتات الكائنة بين الجزئيات الموقعة التي تعد بمثابة فرصة للاستمتاع بالتوقيع المنغم، والتقاط الأنفاس.

ومن هذا القبيل قول صاعد في مدحته لمنصور(٢):

يَـا حِـرْزَ كُـلِّ مُخَـوَّفٍ وَأَمَـانَ كُـلِّ مُشَـرَّدٍ وَمُعِـزَّ كُـلِّ مُـذَلَّلِ

إن توصل الشاعر إلى ضم المعاني المتعددة في المدح – وإن كانت ملوكة – مما يطرب ويعجب، فلقد تمكن من خلال تجزئة البيت إلى وصف صاحبه بثلاث خلال كانت تحتاج لخلعها عليه إلى أبيات ثلاثة، فساوق الشاعر بين تقسيماته ومعانيه، فخص كلاً منها بقسيم، مبايناً بين القوافي الداخلية والخارجية، قاصداً من خلال هذا التنويع إلى إطراب سامعه الذي يؤهل نفسه وقد سمع قافية الجملة الأولى للاستمتاع بما يشاكلها في نهاية

(١) شرح مقامات الحريري للشريشي جـ ١/ ٩٤ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥، نفح الطيب ٣/ ٨٢ .

الوحدة الثانية، فإذا هي تجئ على خلاف ذلك، فيرهف أذنه لسماع الثالثة وقد علم أن تركيبة البيت تستدعيها، فإذاها تباين سابقتيها، فيتمكن المعنى في نفسه، وتطرب الأذن من تلك الأنساق الإيقاعية المتناغمة تركيباً المتباينة تقفية.

ومن هذا الضرب كذلك الذي ينتظم التقسيم كل وحدات البيت، قوله مردفاً بيته السابق[١]

يَا سِلْكَ كُلِّ فَضِيلَةٍ وِنِظَامَ كُلِّ جَزِيلَةٍ وَثَرَاءَ كُلِّ مُعَيَّلِ

وله في القصيدة نفسها قوله[٢]:

مَوْلَايَ مُؤْنِسَ غُرْبَتِي مُتَخَطِّفِي مِنْ ظُفْرِ أَيَّامِي مُمَنِّعَ مَفْلِي

ومن هذا القبيل قوله[٣] كذلك:

فَتَحَالَفُوا لِمُحَنَّثٍ وَتَجَمَّعُوا لِمُفَرَّقٍ وَتَأَلَّفُوا لِمُبَدَّدِ

وصاعد وإن عمد إلى تقسيم البيت إلى وحدت تنتظمه كله، فإنه في أحايين أخر اكتفى بتجزئة احد شطري البيت لا سيما الشطر الثاني، مكتفياً بالأثر الموسيقي الذي تحدثه الجملة مع القافية من أثر ووقع، ومن ذلك قوله[٤]:

قَدْ نَجَوْتَ وَمَا صَدَّقْتَ فَوْرَتَهُ مُهَشَّمَ الْقِدْحِ مَهْضُومَ الْأَنَابِيبِ

وله في القصيدة ذاتها قوله[٥]:

---

(١) انفردت رواية النفح بالبيت وحدها، نفح الطيب ٣/ ٨٢ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥ .

(٣) أعمال الأعلام لابن الخطيب ٧٣.

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٣١.

(٥) السابق ق١مج١ / ١٣١ .

وَأَنْـتَ مُنْفَـرِدُ الْمِضْـمَارَ مُنْصَـلِتٌ غَمْـرُ الْبَدِيهَـةِ رَوَّاضُ الْمَصَـاعِيبِ

ومن هذا القبيل قوله(١):

يُزْي إذَا احْتَسَت المَعَاطِسُ رِيحَهُ بِنَسِـيمِ غَالِيَـةٍ و فَـوْحِ عَبِـيرِ

وقد تكون التجزئة أو التسميط في الشطر الأول وحده، وقد تمتد فتشمل بعض الثاني، فيحدث بذلك تنغيماً معجباً من خلال التقفية في نهاية التقسيمين قبل القافية النهائية في قراره، وهذا يزيد الإيقاع تطريباً وتنغيماً، يقول صاعد(٢):

طَالَـتْ وِلايَتُـهُ وطَـابَ نَسِـيمُهُ وَزَكَا على المعْشُورِ والمِسْورِ

ويقول كذلك(٣):

ريَّـانُ حيـثُ تَلِيلُـهُ ظَمْـآنُ حيـ ثُ قُصُوصُـهُ لُـزَّتْ إلى دَأْيَاتِهَـا

ومن الظواهر التقليدية كذلك في شعره " التدوير "، والبيت المدور هو الذي تحوي مكوناته الداخلية كلمة تصبح شريكة بين قسميه أي شطريه، فيكون بعضها في نهاية النصف الأول من البيت، وتمتد بقية الكلمة لتدخل في بداية الشطر الثاني، وهذا ضرب من الاهتمام بالإيقاع الداخلي، ومزيد من الجسارة العروضية على مد الجملة الشعرية، يحمل الشاعر على ذلك الوزن من ناحية، وتأديته المعنى بالعبارة الداعية إلى تجزئة بعض كلماتها تحديداً؛ لأنه يراها الأنسب لمراده، فلا بأس والحالة تلك من امتداد الكلمة عبر الشطرين، وكأن رابطاً يشد أواصر الشطرين بشوابك لغوية تؤلف وتقارب.

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ٢٠ .

(٢) السابق ٣/ ١٩ .

(٣) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ١٨٨

وفي شعره كذلك ظواهر أخرى تتصل بالتكرار والجناس والترصيع ورد الأعجاز على الصدور، وما إلى ذلك، شأنه شأن شعراء عصره، إلا أن هذه الظواهر تخلو من الجديد الذي يشار إليه، والطريف الذي ينوه عليه، لذا غضت الدراسة الطرف عنها، فالإتيان عليها تكرار لا يضيف أو يفيد.

ثالثا: البناء الفني:

لا يعطي المتبقى من شعر صاعد صورة واضحة صحيحة لأسس بنائه القصيدة، والنهج المتبع ابتداء وتخلصاً وانتهاء، فليس في شعره إلا عشر قصائد، يسمى بعضها بذلك تجاوزاً، فهي لا تتجاوز السبعة أبيات المنصوص عليها في حد القصيدة، وأطول قصيدة احتفظت بها المصادر كانت خمسة عشر بيتاً، وله أخرى أربعة عشر بيتاً، وثالثة اثني عشر بيتاً، ورابعة أحد عشر بيتاً، وبقية القصائد واحدة تسعة أبيات، وأخرى ثمانية، واثنتان سبعة أبيات، وما دون ذلك فمقطعات منها البيت والبيتان والثلاث، وهي الأكثر شيوعاً في نظمه، فقد احتفظت المصادر المتنوعة بخمسة وثلاثين مقطعة في أغراض مختلفة، ومضامين متنوعة.

وتلك الكثرة من القصار تدفع إلى القول بأن صاعداً انتهجها بدوافع من التجويد القائم على الاختصار، فكلما أوجز كلما تحكم في فكرته، وأمسك بخيوطها، وتمكن من انتقاء ألفاظها، وتخير صورها، دون تشتيت للذهن، أو كد للعقل، إضافة إلى أنه كان يصوغ شعره استجابة لطلب طالب، أو تعبيراً عن موقف طارئ، أو إثباتاً لشاعرية في موقف عارض، أو إشباعاً لرغبة في القول والنظم، وليس يعنيه والحالة تلك أن يكثر من النظم، ويطيل القول، فليس ثمة ما يغريه بذلك طالما ارتأى أن الشكل المنتجع يفي بالغرض الذي عنَّ له فنظم فيه.

وللقضية أبعاد أخرى – فوق ذلك – يعود بعضها إلى اقتصار أصحاب المؤلفات على المختارات الرائقة، والمنتقيات المنتخبة استشهاداً على ما يعرضون، وتدليلاً على ما يجتزئون من أجله؛ استناداً إلى الذوق الفردي، والإعجاب الذاتي، مع ترك بقية القصيدة نهباً للضياع والنسيان ما لم يعرج عليها آخر بالاجتزاء أو الذكر، ومن ثم فلا يعدم قارئ هذه المجاميع أو المختارات من قول المؤلف: وهي طويلة اخترت منها، أو وهي مستحسنة لم يعلق بذهني منها إلا قوله، وما إلى ذلك إضافة إلى أن تصريع أو تقفية البيت الأول من هذه المختارت يرجح كونها قصائد اقتطعت منها هذه النتف، وترك ما سواها.

وما سبق طرحه يعرفه من له بصيرة بهذا الفن، وقد وردت إشارات دالة على اعتماد مبدأ الاختيار في شعر صاعد، والاقتصار على ما يعجب المنتقي منه، ومن ذلك مثلاً تعليق المراكشي في البيان المغرب وقد أورد لصاعد بيتاً مفرداً، يهنئ فيه عبد الملك بن المنصور لقتله خصمه الوزير عيسى بن سعيد، وهو قوله:

يَا مَنْ أَعَادَكَا مِنْ عَدْلِهِ عُمَرا حَتَّى جَبْنَاهُ مِنْ مَلْحُودِهِ نُشِرَا

إذ أردف البيت بقوله[1]: " وهي طويلة "، ولم يذكر غيره، في حين ذكر ابن بسام القصة، وانفرد دون بقية المصادر بإيراد بيتين من قصيدة صاعد مهَّد لهما بقوله[2]: وكان أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي منقطعاً إلى عيسى بن سعيد، فكان أول من أنشد عبد الملك على سبيله من سرعة الانقلاب شعراً، يقول فيه:

فَتِلْكَ هَامَتُهُ فِي الجَوِّ نَاطِقَةٌ تُحَدِّثُ النَّاسَ مِنْ آيَاتِهَا عِبَرَا

مَكْتُوبَةُ الْوَجْهِ بِالْهِنْدِيِّ يَقْرَؤُهُ مَنْ لَيْسَ يَقْرَأُ مَكْتُوباً وَلَا سَطَرَا

(١) البيان المغرب ٣/ ٣٥.

(٢) الذخيرة ق١مج١/ ١٢٨.

وفي رائية صاعد التي عارض بها أبا نواس باقتراح من المنصور، أورد منها ابن بسام ستة أبيات اكتفى بذكر مفتتحه، ثم أعقبه بقوله: "ومنها "، يقول ابن بسام[1]: وجاءَهُ من الغد فأنشدَهُ قصيدتَهُ التي أولها:

خِـدَالَ الْـبُرَى إِنِّي بِكُـنَّ بَصِـيرُ طَـوَتْكُنَّ عَنِّـي خُلْسَـةٌ وَقَتِـير

ومنها:

وَبَاتَـتْ كَـمَا بَاتَـتْ مَهَـاةُ خَمِيلَـةٍ لَـهَا جُـؤْذَر عِنْـدَ الصرَاةِ عَقِـير

ومبدأ ذلك الاختيار لا غضاضة فيه عند أصحاب المؤلفات[2]، فدافعهم الاستشهاد على ما يعرضون له، أو يعنّ لهم، أو الإعجاب بالمقتطع دون غيره، أو مناسبته لبابهم المؤلَّف، وما يدور في فلك ذلك من تبريرات وعلل تدفع في الغالب إلى تتبع النظم؛ بغية إكمال ناقصه دون جدوى تنقع الغلة وتشبع النهم.

وارتجال الشاعر القول دون روية وتفكير أدخل في هذا الباب، وأدعى إلى عدم التطويل والبسط، فاللمحة الخاطفة، والمنظر المعجب الذي يروق الشاعر أو صاحبه، فيطلب منه وصفه يعتمد على الإيجاز، ويتخذ من وحدة الموضوع مرتكزاً ينطلق منه دون أن تكون لديه مساحة ينعطف منها إلى البسط أو التنقيح، وليس معنى هذا أن المعاني ساعة ارتجالها تكون فجة غير مستساغة، فكم من شاعر ماهر أتته وثبة خيال، ونفثة سحر، وبديع قول وقت ارتجاله، وكم من آخر ارتج عليه فتلعثم وسكت، وبينهما من يقول ارتجالاً فتقعد به موهبته، فلا يأتي إلا بالغث الركيك، والثقيل المستبرد.

(١) السابق ق٤ مج١/ ٢٢،٢٣ .

(٢) انظر في ذلك اختيار ابن بسام وابن الآبار لبعض شعر صاعد دون بقية القصيدة مصرحين بالقول " ومنها في المدح " الذخيرة ق٤ مج١ / ٥٤، الحلة السيراء ١/ ٢٨٣ .

وقد أجاد صاعد القول ارتجالاً حين أدخل على المنصور يوماً وردة في غير أيامها لم تستتم فتح كمامها، فقال فيها صاعد ارتجالاً[1]:

أَتَتْـــكَ أَبَـــا عَـــامِرٍ وَرقٌ يُـــذَكِّرُكَ الْمِسْـــكُ أَنْفَاسَـــهَا

كَعَـــذْرَاءَ أَبْصَـــرَهَا مُبْصِـــرٌ فَغَطَّـــتْ بِأَكْمَامِهَـــا رَاسَـــهَا

وإذا كان صاعد أجاد في صوغ مقطوعته، وأحسن سبكها، وتجويد صورتها، فإنه سقط في أخرى، فأتى بمعنى فج لا يطرب، وكريه لا يفكه، وقصة ذلك أنه " دخل يوماً على المنصور وعليه ثياب جدد، وخف جديد، فمشى على جانب البركة؛ لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلقت رجله فسقط في الماء، فضحك المنصور وأخرج، وقد كاد البرد يقضى عليه، فلما نظر إليه أمر له بثياب وأدنى مجلسه، وقال يا أبا العلاء: قل في سقطتك، فأطرق، ثم قال:

شَيْخَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ عَجِيبَةً ضَرْطُ ابْنِ وُهْبٍ ثُمَّ سِقْطَةُ صَاعِدِ

فاستبرد ما أتى به[2] "

ومن قبيل اقتراح النظم على الشاعر في موقف عارض، ما روي من أن صاعداً خرج مع المنصور يوماً إلى رياض الزاهرة، فمد يده إلى شيء من الترنجان فعبثَ به، ورماه إليه معرضاً أن يصفه، فقال صاعد[3]:

لَمْ أَدْرِ قَبْـلَ تُرُنْجَـانٍ عَبِثْـتَ بِـهِ أَنَّ الزُّمُـــرُّدَ قُضْـــبَانٌ وَأَوْرَاقُ

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١٩٤، بدائع البدائه ٦٣ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٧، ونفح الطيب ٣ / ٩٥ .

(٣) بدائع البدائه ١٦٤، نفح الطيب ٣/ ٩٥ .

وليس لمتحدث عن المقطعات في شعر صاعد أن يفغل قضية انتقاله في بعضها من الوصف إلى المدح –رغم قلة عدد الأبيات المنظومة – فكثيراً ما كان ينظم المقطوعات في وصف زهرة أو مدينة أو فاكهة ثم يمهد للانتقال منها في أخر بيت أو بيتين إلى المدح وكأنه صاغ وصفه من أجل المدح وقد سبقت إشارات مدللة ومعللة لمسلكه في الحديث عن المديح، فقد حاول كمعاصريه أن يمدح المنصور بأسماء بناته، وقد أسماهن بأسماء الزهور " بنفسج وبهار ونرجس "، ومن ذلك وصفه للمنثور، والنرجس، والبهار، والآس[1]، وغيرهم.

هذا فيما يتصل بالمقطعات، أما المتبقى من قصائده، فيمكن القول استناداً على المنصوص عليه من شعره أنه في مقدماته اتبع النهج الذي ارتضاه الأقدمون، وسار عليه في مفتتحاته، فهو يصرع أو يقفي على شاكلتهم في مستهل قصائده[2]، وقد سبق عرض شواهد من ذلك عند الحديث عن الموسيقى.

بقيت إشارتان ينبغي الإلماح إليهما يتصلان بالمقدمة:

الأولى: أنه في قصيدة واحدة تلك التي عارض فيها أبا نواس اتبع النهج القديم المعتمد على الافتتاح بالغزل والتشبيب، وأكثر فيها من الصور البدوية والأساليب المشرقية فلم يأت فيها بما يستحق الإشادة والتنويه ولعل هذا ما دفع ابن بسام إلى قوله

(١) انظر البيان المغرب ٣/ ١٨، ١٩، ٢٠ .

(٢) نظر: الجذوة ٢٤١، والذخيرة ق٤ مج١/ ٢٢، والمعجب ٣٣، و أعمال الأعلام ٧٢، والبيان المغرب ٣/ ٣٥ .

تعليقاً عليها: " ولكن أبا عامر حمله على الغرر وعرضه لسوء الخبر[١] "، يقول في مطلعها[٢]:

خِـدَالَ لْـبُرَى إِنِّي بِكُـنَّ بَصِـيرُ طَـوَتْكُنَّ عَنِّي خُلْسَـةٌ وَقَتِير

والثانية: أن بقية مفتتحاته كانت في التهنئة والفتح و الظفر والمدح، وتلك موضوعات أملت عليه الولوج دون توطئة أو تمهيد للغرض الذي يقصده، فالممدوح وقت الفتح وحال النصر مزهو بنفسه، تياه للظفر على عدوه، تواق لأكاليل الغار الموشاة بمدبج المديح وآسر القول تنثر فوق مفرق يطاول السماء مباهاة وافتخارا، ومن ثم فالتغني بشجاعته، والترنم بمآثره أجذب لنفسه من حديث عن ليلى، أو تشبيب بهند، وما حاجته إلى ذلك، وثمة ما ينتظره، و يتطلع إليه.

ومن أمثلة ولوجه لغرضه دون توطئة أو تشبيب قوله في مفتتح قصيدة يهنئ فيها المنصور بن أبي عامر بنصر وفتح[٣]:

جَـدَّدْتُ شُـكْرِي لِلْهَـوَى الْمُجَـدِّدِ وَعَهِدْتُ عِنْدَكَ مِنْهُ مَا لَمْ يُعْهِدِ

وله على هذا النهج من الاستهلال مفتتحات كثيرة تعكس اقتناعه بالمسلك واقتفاه[٤].

---

(١) الذخيرة ق٤ مج١ / ٢٣ .

(٢) السابق ق٤ مج١ / ٢٢ .

(٣) أعمال الأعلام لابن الخطيب ٧٢ .

(٤) انظر في بعض ذلك: الذخيرة ق٤ مج١/ ٢٢، والمعجب ٣٣، و أعمال الأعلام ٧٢، والبيان المغرب ٣/ ٣٥ .

وليس في قصائده ما يستحق الذكر فيما يتصل بحسن التخلص، فقد أوقفها على غرض واحد لا يتعداه إلى سواه، حتى في القصيدة الوحيدة التي افتتحها بالغزل، وهي معارضته لأبي نواس، لم يذكر المصدر الوحيد الذي نص عليها وهو الذخيرة إلا بعض أبيات في المقدمة دون بقية أبيات المدح.

وجاءت خواتيمه تقليدية النزعة، فليس فيها جديد يشار إليه، فهي لا تخرج عن أن تكون تتميماً لما يقصد إليه من مدح أو تهنئة، أو دعاء يتجمل في توشيته بما يعجب الممدوح ويجذبه، ومن ذلك قوله في ختام مدحته للمنصور بعد هدية أهداها إليه(١):

فَلَئِنْ قَبِلْتَ فَإِنَّ أَسْنَى نِعْمَةٍ أَسْدَى بِهَا ذُو مِنْحَةٍ وَتَطَوُّلِ
صَبحَتْكَ غَادِيَةُ السُّرُورِ وَجُلِّتْ أَرْجَاءُ رَبْعِكَ بِالسَّحَابِ لُمُخْضلِ

ويدعو لممدوحه في أخرى على الشاكلة السابقة فيقول في مختتمه وقد ذكر مدينة الزاهرة(٢):

فَدُمْ مَدَى الدَّهْرِ فِيهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

رابعاً: الصورة الشعرية:

إن تأطير الصورة الأدبية، وبلورة قسماتها، أخذ أبعاداً شتى بين القديم والحديث، ناهيك عن الدلاء الغربية على اختلاف مذاهبها وتنوع اتجاهاتها، مما يوقع الباحث في حيرة أمام هذا الكم المترهل من التصورات والرؤى التي تنتحي كل منها منحى يوافق عليه أو يختلف حوله، وتلك التصورات على تعددها، لا يقنع بأي منها الأريب على أنها

(١) جذوة المقتبس ٢٤٤، والذخيرة ق٤مج١/ ٣٥ .

(٢) نفح الطيب ١/ ٥٨٤ .

التعريف الشامل؛ لأنه متى استراح إلى أيها، اعترضته تجارب ورؤى قصدت بصاحبها غير المنحى المؤطر له، وما أكثرها تلك المناحي التي تختلف باختلاف مبدعيها، فالتصوير الإبداعي مرتبط بغير منهج محدد، مرده إلى الفردية والذاتية والثقافة والموهبة والتجربة، وهي على كثرة ميممها من المبدعين، وتباين تجاربهم، تستعصي على التأطير المنهجي استناداً إلى تلك الكثرة وهذا التباين، فإذا انضاف إلى ذلك تغايرها في إثارة دافعية المتلقي قارئاً أوناقداً، وتحريك مشاعره، ودرجة استجابته، وتناغمها معها تبعاً للمؤثرات الداخلية والخارجية التي تشكل طبيعة كل إنسان، وتتفاوت نفسياً واجتماعياً وفكرياً، أمكن القول بأن ثمة تعريفا جامعا للصورة يحتاج إلى معاودة نظر، والأقرب أنها تصورات تكتنه بدرجة كبيرة حقيقة الصورة، بعيداً عن الجزم المطلق، والتقنين الجامع.

ومن الجدير بالذكر التعريج على أنماط من الصور تبدت واضحة في شعر صاعد، وإن لم تخرج في حقيقتها عن التشبيه والاستعارة، سيراً على سنن الشعراء ونهجهم، وهي اعتماداً على المتبقى من شعره، لا تعطي حكماً قاطعاً في تبيان قسماتها في نظمه، فمصادر الصورة على تعددها باهتة الملامح، لا يظهر منها إلا الطبيعة، والتراث، وبعض الإشارات التاريخية التي وردت عرضاً في ثنايا شعره، وما عداها فنادر لا يستحق الإشارة، أو ضاع مع ما ضاع من أدبه وفقد.

والطبيعة وإن سبق الإدلاف إلى خصائصها في الحديث عن الوصف ذكراً واستدلالاً، فإنه يتبقى ملمح رائق في هذا الباب، يتعلق بجانب الطرافة والظرف في شعره الذي كان في أوقات النشوة والأريحية والمنادمة، تتفتق قريحته عن صور معجبة تبهج وتسعد، فبداخله شاعر يجيد إذا أخلص لفنه، وتناسى القديم المحفوظ في ذاكرته،

وأطلق خطام خياله، ليؤلف بين المتناقضات، ويقارب بين المتباعدات؛ ليحسن وصفه، ويدق تشبيهه، وتروق استعارته، ويسوق معانيه مغلفة بألق من فنه، فتسري بها يكتنفها من مخايل الإبداع إلى حيث أراد لها من مسابح، بعيداً عن النقل الحياتي، والتصوير الباهت، والواقع المألوف.

يقول صاعد[1]:

أَتَتْكَ أَبَا عَامِرٍ وَرةٌ يُذَكِّرُكَ الْمِسْكُ أَنْفَاسَهَا

كَعَذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

إن تشبيهه الوردة التي لم تستتم فتح ورقها، بالعذراء تغطي وجهها بأكمامها لما أبصرها مبصر حياء، من مستطرفات صوره ومستحسنها، ففوق ما فيها من تشبيه تمثيلي، أجاد الشاعر النفوذ - بما يكتنه صورته من حركةٍ متبدية في وضع المرأة وجهها بين ذراعيها، ولونٍ متمثلاً في حمرة خدها خجلاً - إلى عقل سامعه، مع دقة وصف يوحي به استغراق الرأس كله عند التغطية، وشدة إعجاب، يمليها مستملح الصورتين بما تقذفانه في النفس من أريحية ونشوة.

ومن صوره الطريفة كذلك قوله في وصف البنفسج[2]:

يَحْكِي قَمِيصَ الفَجْرِ لَوْنُ أَدِيمِهِ والقَرْصَ في خَدِّ الْمِلاحِ الحُورِ

فالبنفسج بلونه الأحمر، يشبه شفق الفجر، أو خد مليحة عبثت به أصابع قارص، فأحالت بياضه حمرةً أو قريباً منها، وصورة انبلاج الفجر بحمرته التي تبدد دياجير

(١) الجذوة ١٩٤، الذخيرة ق٤ مج١/ ١٧، بدائع البدائه ٦٣ .

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ١٩، ٢٠ .

الظلام، معجب للنفس التواقة للنور، المحبة للجمال، أما خدود الملاح فمما يروق للعين منظرها، فإذا فرقتها أنامل قارص ازداد سحرها، وبدا جمالها، فملامح الصورة بثلاثية أطرافها، البنفسج بحمرته، والفجر بشفقه، والخد بقرصه، من الظريف المطرب، والطريف الجاذب للعقل والقلب.

ويزداد البيت حسناً إذا قلب التشبيه، فشبه لون الفجر، وقرص الخد، بلون البنفسج، وفي ذلك طرافة لا تخفى، وحسن يروق، وعليه تكون رواية البيت:

يَحْكِي قَمِيصُ الفَجْرِ لَوْنَ أَدِيمِهِ والقَرْصُ في خَدِّ الْمِلاحِ الحُورِ

وهي وإن كانت مستملحة مستجادة، إلا أنها مخالفة لرواية البيان المغرب التي انفردت بذكر البيت على الشاكلة الأولى، والتي جاء التشبيه فيها على الأصل لا على القلب.

وفي شعره شواهد تشهد له بالبراعة والطرافة أحسن فيها وأجاد[1].

ومن اللافت للنظر في صوره انتجاع الصور البدوية، والعادات العربية، فقد ارتحل إلى الأندلس بعد أن عاش ردحاً من عمره في المشرق، ارتحل ومعه صور مشرقية قديمة مطبوعة في ذاكرته، محفورة في أعماقه، عايش بعضها عن كثب، وعرف بعضها عن طريق السماع والمطالعة والترحال، فلم يستطع نسيانها رغم المدنية المترفة التي انتقل إلى ظلالها، فظل مشدود الأواصر إلى القديم، يخف إليه، فيمده بمخايل ماض تليد، لم يبق منه إلا بقايا ذكريات تتراءى، وأطياف يستدعيها خياله الجانح إلى القديم المتأصل في أعماقه، فيكرر ويعيد.

(١) انظر الذخيرة ق٤ مج١ / ٢٥، بدائع البدائه ١٦٥،النفح ٣/ ٦٩، نزهة الأنام ١٢٢ .

ومن ثم فلا غرابة حين يطالع المتلقي في شعره كثيراً من الصور البدوية المألوفة في حياة العرب الأقدمين، والتي لاكتها أفواه السابقين قبله، عاكساً تأثره بالمشرق فكراً وحياة وإبداعاً، ومن تلك الصور المبثوثة في شعره صورة الإبل الخوامس التي تُمنع من الماء خمسة أيام فيبلغ بها العطش مبلغاً، ثم تدفعها العرب عن الماء؛ لأنها تتقحم عليه لشدة عطشها، ثم تسيرها ليلاً لإروائها ليلة القَرَب، وتلك صورة بدوية استدعاها صاعد ليشبه بها صورة تدافع الجياد، وشدة اختلاطها ساعة النزال والطعن، يقول[1]:

تُزجَى الْجِيَادُ إلى الْجِيَادِ كَمَا تُزجَى الْخَوَامِسُ لَيْلَةَ القَرَبِ

ومن ذلك صورة الناقة التي أصابها الجرب، فطليت بالقطران، فخالط جلدها، وهي صورة مألوفة في حياة البادية، عرج عليها صاعد؛ ليشبه بها صورة مخالطة سيف ممدوحه للموت، والتصاقه به في قوله[2]:

يُحَكِّكُ أَسْيَافُهُ بِالرَّدَى كَمَا حُكَّ بِالْهِنِءِ الأَجْرَبُ

ويدخل في إطار ذلك تصويره الناقة المسبوعة لفقدها صغيرها؛ لوقوعه في يد صائد لا يرحم[3]، وصورة بغام الناقة بصوت متقطع ضعيف لذبح وحيدها[4]، وغيرها.

وهذا الاهتمام بالصورة البدوية رغم بعده عنها، وانخراطه في حياة مليئة بالمدنية والجمال والسحر، يجرنا إلى التساؤل عن مدى التقليد في شعره، وهل يمثل ظاهرة تستحق التنويه والدراسة ؟.

---

(١) كتاب التشبيهات ٢٠٨ .

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ - مج ١/ ١٢.

(٣) السابق ق٤ مج١ / ٢٣ .

(٤) السابق ق٤ مج١ / ٢٣ .

- التقليد في شعر صاعد:

١ - يقول صاعد البغدادي[١]:

فالشَّرُّ بالشَّرِّ لُمْبَرِّحٍ يُتَّقَى والقِرْنُ بالقِرْنِ المُصَمِّم يُغلَبُ

ومعنى صاعد ساقه مساق الحكم دقة إحكام، وقوة إيجاز، ووضوح دلالة، وهو وإن خالف المقاصد الإسلامية الداعية إلى مقابلة السيئة بالحسنة، والجهل بالحلم، فإنه من مستحسن الجاهليين، وملوكات ألسنتهم، ومكرور كلامهم، فالشر يدفع بمثله، ويُتقى بما يزيد عليه؛ ليرتدع الظالم، ويرجع عن غيه وجهله.

وقوله "**فالشَّرُّ بالشَّرِّ المُبَرِّحِ يُتَّقَى**" سبقه إليه الشعراء الجاهليون، فصرحوا به، وضمنوه أشعارهم مع اختلاف السبك، وتغاير النسق، فزهير بن أبي سلمى يرى في استكانة المرء ضعفاً يدفع الناس إلى ظلمه؛ لذا يعالن بأن الظالم يُصان، والمسالم يُهان، ومن لا يَظلم يُظلم، يقول[٢]:

ومن لم يَزُدْ عن حوضِهِ بسلاحِهِ يُهَدَّمْ ومن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

ويشاكله المنزع عمرو بن كلثوم المصرح في نونيته الذائعة برد قومه ظلم المعتدين وجهلهم بأقوى منه جهلا واعتداء، فذلك سبيل العزة، وتمام الصون، يقول[٣]:

---

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ١٦٧

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له علي فاعور – دار الكتب العملية بيروت – ط١/ ١٩٨٨م – صـ ١١١.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم – تح: إميل يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢/ ١٩٩٦م – صـ ٧٨.

أَلا لَا يَجْهَلَــنْ أحَــدٌ عَلَيْنــا فنَجْهَــلَ فــوْقَ جَهْــلِ الجاهِلينــا

والمعنى من مستساغ الجاهليين استحسنوه فقلبوه على وجوهه، واعتصروا من كرمته ما عساه ينقع غلة صدورهم المكلومة، كل على حسب ممضات صدره، ومقتضيات نظمه، وإيقاعات وزنه، وحظه من الموهبة و الإبداع، يقول حسان بن حنظلة[1]:

أَحْلَامنَا تزن الْجبَال رزانةً وَيزِيد جاهلنا على الْجُهَّال

ويعزف الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ على القيثارة ذاتها فالحلم عند الظلم ذلة وإذعان، والشر سبيل النجاة، ومسلك الخلاص، يقول[2]:

وَبَعْــــضُ الحِلْــمِ عِنْــدَ الجَهــْ ـــــــلِ لِلذُّلَّــــــةِ إذْعَــــــانُ

وَفِي الشَّــرِّ نَجَــــــاةٌ حِيــــــ ـــــنَ لاَ يُنْجِيــــكَ إحْسَــــانُ

وهؤلاء وأمثالهم وإن كبت رؤاهم، فندت عن جادة الحق، ومقطع الصواب، فرأوا في رد الشر بما يزيد عليه جهالة وبطشاً أدفع له، فإن غيرهم من بني جلدتهم، ولِدَات بيئتهم كانوا أقل منهم حدة، وأهدأ نفساً، وأملك زماماً، فعالنوا بدفع الشر بمثله، ومجازاته بنده، ووقم الجهَّال بأشباههم، مع إعمال العقل، واستخدم الحيل؛ وصولا إلى مُتَغَيَّاهم من الأمن والسلامة، يقول الأشهب بن رميلة النَّهْشَلِي من مخضرمي الجاهلية والإسلام[3]:

(١) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدي تح:ف. كرنكو- دار الجيل، بيروت -ط١ / ١٩٩١ م – صـ ١٥٨ .

(٢) الأمالي للقالي -ترتيب: محمد عبد الجواد - دار الكتب المصرية -ط٢/ ١٩٢٦م – جـ١/ ٢٦٠ .

(٣) الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري -تح: مختار الدين أحمد- عالم الكتب – بيروت – ١/ ٩٤ .

وَمَـا نفـى عَنْـك قومـا أَنْـت خـائفهم كَمثـل وقمـك جُهَّـالًا بجهـال

فاقعس إِذا حدبوا واحدب إِذا قعسوا ووازن الشَّـرّ مِثْقَـالا بمثقـال

وفي أمثال العرب، ومصون حكمهم(١): قَدْ يُدْفَعُ الشَّرُّ بِمِثْلِهِ، إذا أَعْيَاكَ غَيرُهُ

وثمـة رؤى هادئـة انتجعهـا المتعقلـون تـدفع الشر بتجنبـه، وتَـردُّهُ بتركـه متـى انبعـث المستحمقون يؤججو أسبابه بإضرام ناره، ويلهبون جذوته نفخاً في رماده، ومـن هـؤلاء عدي بن زيد في مثل قوله(٢):

إذا مـا رأيـت الشرّ يبعـث أهلـه وقـام جنـاة الشرّ للشرّ فاقعـد

وتلك وغيرها اتجاهات مختلفة المشارب أملتها وقائع حياة، وطبائع بشر في زمـن لم تكن تُستغرب فيه أبجديات القسر، ومخايل القوة، والمبادأة بالظلم؛ ردعاً لما قد يقدم عليه كل جاهل موتور.

وقـد راق المعنـى بعـض الشـعراء الإسـلاميين فيممـوا صـوبه، وحجـوه مشـاكلين سابقيهم، فالشر يدفع بما يزيد عليـه عنـد الفـرزدق الـذي أخـذ معنـى حسـان بـن حنظلـة وانتهبه، وادعاه وسلبه، دون زيادة تستحق التنويه والذكر، فكرر ما قرره سابقه وأعـاد، يقول(٣):

(١) مجمع الأمثال للميداني - تح: محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة – بيروت – ٢/ ٩٧ .

(٢) ديوان عدي بن زيد – تح: محمد جبار المعيبد – دار الجمهورية – بغداد -١٩٥٦م – ص ـ ١٠٧ .

(٣) ديوان الفرزدق شرح علي فاعور – دار الكتب العلمية - بيروت – ط١/ ١٩٨٧م – صـ ٤٩٨ .

إنَّــا لُمُــونٌ بالجبــال حُلومنــا ويزيد جَاهِلُنا على الجُهَّالِ

ويُدفع الشر بمثله عند دعبل الخزاعي مثلما نص على ذلك سابقه الأشهب بن رميلة النشهلي فيقول دعبل[1]:

إذا مَــا أعضــل الْأَمــر دفعنَــا الشَّــرّ بِالشَّــرِّ

ويصدم بما يماثله عند المتنبي، فذلك أحزم للأمر، وأقرب للصواب فيقول[2]:

وما ذاك بُخلاً بالنُّفوسِ على القنا ولكنَّ صدم الشرّ بالشرّ أحزمُ

وما كان ليغيب عن صاعد البغدادي المعني بأشعار العرب، الجامع لمعجبها، المقيم منآد فاسدها، الواقف على شواردها هذه المعاني وأمثالها، فقد طالع قصائدهم، وأجال النظر في أعطافها، فاتكأ عليها، واستدعى رائقها، وأخذ منها، وعول عليها، فكان في جلَّ نظمه الواصف الناقل، والمقلد العائد، يحذو حذو نعالهم، ويتفقد مواطئ أقدامهم، فيضع قدمه حيث ساروا قصدا، مع زيادة لفظة يخالها تعفيه من الإغارة والنهب، وربما لفتة ظنها تقيه مغبة الجرح والنقد.

(١) الحماسة المغربية للجرّاوي التادلي - تح: محمد رضوان الداية- دار الفكر المعاصر - بيروت- ط١/ ١٩٩١م – جـ١/ ٦٨٥ . وقد أورد صاحب الحماسة البيت ضمن قصيدة عددها ثمانية أبيات جاء هذا البيت سابعا فيها وقد وردت أبيات الحماسة في ديوان دعبل الخزاعي ضمن مقطوعة عدد أبياتها أربعة أبيات لم يرد فيها هذا البيت وثلاثة غيره - انظر: ديوان دعبل – صنعة عبد الكريم الأشتر – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق– صـ ١٥٤ .

(٢) شرح ديوان المتنبي للبرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت ٤/ ٧٨ .

لم يضف صاعد إلى معاني متقدميه في قوله ما يحسب له، ويذكر به، فكلمة "الشر بالشر " في مفتتحه جاءت مسبوكة بنصها في أقوال السابقين وصوغهم، ولم تضف كلمة " المبرح "المردفة زيادة مزية إلى المعنى فهي " فوق جهل الجاهلين " عند ابن كلثوم، " ومن لا يظلم الناس يظلم " عند ابن أبي سلمى، و " ويزيد جاهلنا على الجهال "في قول ابن حنظلة، والفرذدق، حتى في تكثيفه المعنى في شطر بيت، فقد سبقه إليه الأوائل في سبكهم ونظمهم.

٢- قال صاعد[١]:

فَـارْحَمْ أَنِـينَ أَبِي بَنَـاتٍ لَمْ يُصَـبْ لِـدُمُوعِهِنَّ عَـلَى الْخُـدُودِ مَثِيـلُ

أَسَـفُ الْفِـرَاخِ عَـلَى كَفِيـلٍ كَاسِـبٍ أَوْدَى فَلَـيْسَ لَهُـنَّ بَعْـدُ كَفِيـلُ

البيتان ضمن قصيدة في الاستعطاف لصاعد حين نكب وأغرم في آخر حياته، وهما يشيان بمكنون صدر الشاعر، ويكشفان عن نفس ملتاعة، أضناها العوز، وآلمتها الحاجة، فأَنَّتْ في خور، واستعطفت في مهانة، وعرَّضت بالبنات استكانة، وصرحت بدموعهن اجتذابا للعطف، وترقيقا للقلب، لكنها محاولات ذهبت أدراج الرياح، فلم تصادف أذنا مصغية، أو نفوسا حانية، فجنى الانكسار في أخريات حياته، وهو الذي نعم زمناً في ظلال المنصور العامري وأبنائه.

وتأثير بيتي صاعد في النفس لإنسانيته تأثير سرعان ما ينمحي أثره، ويفقد حرارته بعد هدأة وروية، فليس وراءه حسن تصوير يعجب، أو وثبة خيال تجذب، فهو مهموم يمضُّه دموع بناته الباكيات أسفاً على فقده، فليس لهن من يصلح الشأن، ويسد العوز.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ١١ .

وأين قوله من أبيات تميم بن جميل السدوسي صدق عاطفة، ودقة وصف، ورقة رصف ؟، تلك التي أنشدها بين يدي الخليفة المعتصم العباسي حين خرج عليه، فأمسك به على ما تذكره الروايات، فقد روي أنه قام بشاطئ الفرات، واجتمع إليه الأعراب، وغلظ أمره، فظفر به، وحمل إلى باب المعتصم، فلما مثل بين يديه وكان وسيماً جميلاً، فقُدِّم لتضرب عنقه، وأحضر النطع والسيف، فأحب المعتصم أن يعلم أين المنظر من المخبر، فقال له تكلم، فكان مما قال[1]:

فما حزني أني أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيءٌ موقت

ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرةٍ تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بنعمةٍ ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

وتلك حادثة طوفت في البلاد، وسارت بها الركبان، وتناقلتها الألسن، فأمثالها تسري بمضائها إلى حيث مسارب النفس وبؤر الشعور، فتستولي على الأفئدة، وتأخذ بمجامع اللب، وتتيح للعقل أن يدق، وللقلب أن يرق، فصبيته تتفتت أكبادهم حسرة، وتتفطر كوامنهم لوعة، ويال قوة الأثر النفسي الذي تخلفه صورة الصغار وهم يخمشون الوجوه، ويخدشون الخدود، وتجاوب أصوات عويلهم، وحشرجات صراخهم لواعج نفوس ضائعة فقدت الحاني والمعين !.

ويلمس من له بصر بالشعر أن استعطاف صاعد مشدود الأواصر بأبيات تميم، فبينهما شوابك صلات تجمع، وعلائق رحم تؤلف، فما هذه إلا من تلك ؟ وكان ينبغي

(١) لعقد الفريد لابن عبد ربه - دار الكتب العلمية - بيروت-ط١/ ١٤٠٤ هـ - جـ٢/ ٣٣ .

والحالة تلك أن يجوِّدَ المتأخر ويزيد، لا أن يقف بصورته عند حدود بنات باكيات العيون آسفات القلوب، فالمعاني في هذه المواقف ومثيلاتها متوفرة، ومجال القول ذو سعة، لكنه كان النائح الناظم، وليس الثاكل المعنَّى، وكان الأجدى به وهو البصير بدروب الشعر أن يكون الخاتل الذي يخلع على أوصافه من إهاب فنه أبراداً موشاة من رائق الفن ومعجبه

وشتان بين موقف تميم وصاعد، فالأول قُدِّم لتقطع رأسه، وأمامه النطع والسيف، وما هي إلا لحظات وتمور نفسه، وتزهق روحه، والثاني مطمئن في أهله، مجتمع النفس، ثابت الجأش أغرم مالا فيحتاج إلى من يسد عوزه، فكان الأول قوياً في موضع الخور، وجاء الثاني جزعاً في موقف الأمن، يستقبل تميم الموت غير آبه، فهو قدر حاتم، وقضاء واقع، ويئن صاعد لحاجته غير متحمل تبعات عثرة تُقال، وغرم يجبر.

وتصوير الفجيعة على صبية تميم أشد وقعاً وأعمق أثراً منها على بنات صاعد، فأولاء تتفتت أكبادهم حسرة، في حين تبكي البنات بدموع مذرفات قصارى ما توصف به أنها لامثيل لها، وهو وصف فاتر باهت، وصبية تميم يخمشون الوجوه، ويضربون الخدود لفقد الوالد، في الوقت الذي تأسف فيه بنات صاعد على العائل الكفيل، وأين عويل الصبية وصواتهم من دموع مذرفة في روية وأناة ؟ ناهيك عن الأثر المترتب عند كل، فالصبية يموتون أسىً للفقد، والبنات ليس لهن كفيل بعد يهدهد ويعول.

لقد دار صاعد في فلك تميم، فافترش مهاداً وطأه دون أن يبلغ مبلغه، أو يدرك شأوه، فمعانيه اقتطفها من صاحبه فاقتضبها، واختزنها في ذاكرته ثم اختزلها في نظمه، واستدعاها في شدوه، فكان مقلداً حاول التفرد، فقعدت به موهبته، وكبا خياله؛ فتقلصت ظلال صورته فلم تحرك سواكن الممدوح وكوامنه، فجاءت رقى لم تنفع، ووسائل لم تنجع.

٣ – دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب، فملأ الساقي قدحا من إبريق، فبقيت على فم الإبريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديهاً[١]: (بسيط)

١ – وَقَهْوَةٍ مِن فَمِ الإِبْرِيقِ صَافِيَةٍ كَدَمْعِ مَفْجُوعَةٍ بِالإِلْفِ مِعْبَارِ

٢ – كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا والرَّاحُ في فَمِهِ طَيْرٌ تناول يَاقُوتاً بِمنقَارِ

وقال ابن بسام في ذخيرته تعليقاً على البيتين: فكانوا يولعون بهذا التشبيه، كما قاله – زعم – على البديه، وإنما نقل لفظ أبي البركات العلوي مما أنشده الثعالبي[٢]:

كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتا بمنقار

أو قول أبي الفرج الببغاء من أرجوزة خاطب بها الصابي[٣]:

كأنما الحبة في منقارها حبابة[٤] تطفوا على عقارها[٥]

وقد مهد ابن بسام في ذخيرته لبيتي صاعد بقوله:وقد " افتضح في سرقة شعر غير واحد من أهل تلك الآفاق، من شعراء الشام والعراق، إذ كان ورد بها وهي بغبار

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢٥، نفح الطيب ٣/ ٩٦ .

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي –تح: د. مفيد قمحية– دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان–ط١/ ١٩٨٣م – جـ ٤/ ٤٨٥ .

(٣) السابق ١/ ٣١٣ .

(٤) حَبَابُ المَاءِ: نُفَّاخَاتُه وفَقَاقِيعُه التي تَطْفُو على سطحه .

(٥) العُقَارُ بالضَّمّ: الخَمْرُ سُمِّيَت لُمعَاقَرَتِهَا أَي لُمُلازَمَتِها الدَّنَّ يُقَال عاقَرَه إِذا لازَمَهُ ودَاوَمَ عليه .

السفر، فاشتهر بها في غير ما شعر ولا خبر، ومنها قوله يصف إبريقا قد ملئ منه كأس، وبقيت في فمه نقطة لم تسقط "

واتهام ابن بسام لصاعد بالسرقة من أشعار غيره له وجاهته، فالدلائل تؤكد تلك النظرة القاضية بذلك، ووردها على لسان عارف بالشعر كابن بسام تعضد الأمر وتقرره، وقد أعان صاعدٌ النقادَ على نفسه بإغاراته الصريحة على معاني المتقدمين وتعابيرهم تصريحا لا تعريضا، وكأن ما قالوه كلأ مباح، له أن يترع من ناضجه، ويجني من دَنِيِّه ما يقيم به أود نظمه دون خفاء أو مواربة.

وصورة صاعد على سرقتها دقيقة التفاصيل، رائقة القسمات، واضحة التفصيلات، فقد شاكل بين طرفي التشبيه حين صور هيئة الإبريق وفي فمه نقطة عالقة لم تسقط بهيئة الطائر الذي يحمل ياقوتا بمنقاره، في حين جاءت صورة أبي البركات العلوي خاطفة أشبه باللمحة، تاركاً مساحة للعقل ليتخيل تمام المعنى عند المشابهة؛ وذلك لأنه شبه الإبريق على الكلية دون هيئة محددة بالطائر يحمل ياقوتاً بمنقاره، ولا يكون التشبيه حينئذ متكاملا مالم يكن الإبريق قي فمه قطرة عالقةلم تسقط؛ لتتم المشابهة، وتتناغم قسمات الصورة وتتشاكل في المشبه والمشبه به، وهذا ما أتى عليه صاعد وبينه، في حين أغفله أبو البركات بذكائه وأغفله.

أما أبو الفرج الببغاء فقد أتى بالأركان مكتملة، والصورة متسقة، فالحبة في منقار طائره تشبه فقاعة الماء الطافية على سطح خمر معتقة في دنها، وهو من رائق التشبيهات ومعجبه كسابقيه، ومرجع الجمال فيما سبق ليس مرده إلى دقة التشبيه وطرافته فحسب، فقد زاد من وقعه صورة اليواقيت المعجبة ببهائها وألقها في صورتي أبي البركات وصاعد،

وهيئتها في فم طائر تتابعه الأعين بنظراتها مخافة مفارقته متى طار راحلا، وذلك حال السكارى مع كاسات خمرهم حين يصب ساقيهم، فتساقط حباتها طافية مؤتلقة في عيونهم المتعلقة بها عشقا وإعجابا.

وإن كان أبو البركات العلوي تمكن بموهبته أن ينفذ إلى مسارب النفس بصورته، ويمكِّن لمعناه في أعماق متلقيه، متخذاً من إتاحة مساحة للعقل ليشاكل ويشابه، ليتم المعنى بين طرفي التشبيه اعتمادا على اكتمال الهيئة في المشبه به؛ وبذلك يترسخ المعنى ويثبت لتحصيل تمامه بعد روية وفكر، فإن صاعدا أجاد في إعطاء المتلقي صورة متكاملة مبهجة تطرب النفس عند سامعها، وإن كان أغار على قسماتها، وسرق تفصيلاتها من سابقيه.

٤- قال صاعد[١]:

فَلَـــولا شَـــجَاعَتُهُ مَـــا نَجَـــا وَلَكِنَّـــــهُ حُـــــوٌّلٌ قُلَّـــــبُ

والبيت ضمن قصيدة يمدح بها مجاهد العامري، ذلك المستولي على الأندلس حنكة ودهاء، فقد كان على ما تذكر الروايات خبيرا بشئون السياسة والحرب، يتخذ للأمر عدته؛ فينال ما ارتجاه من نصر وظفر، وتلك ميزات يمم صوبها مادحوه، وقلبوها على وجوهها؛ إصابة لمحز يلامس شغاف القلب فتهتز النفس لعطاء أملوه، ونوال طالما اشرأبت أعناقهم إليه كاشفة عن رغبات دِرَاك تنجلي أستارها عن تصريحات بالاستجداء مهينة، وتعريضات في مرات أخر تحفظ ماء وجه لازالت به بقية من حياء.

وصاعد من أولئك الطامحين للمال، الذين تمكنوا من النفوذ إلى كوامن الممدوح بحيله وذكائه، فاجتذب غرب عطفه، ومستصعب إعجابه بروائق الصفات التي

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤- مج ١/ ١٢ .

انتجعها، متكئا على ذاكرة حافظة تستدعي متى شاء أطياف معان راسخة في الذهن، فيعيد سبكها، فتخف إليه راعشة تتراءى مرة أمام ناظريه دونما ضبابية أو غيوم، وأخرى مكتسية أطراً حاجبة تكشف أكثر مما تخفي، وتظهر ما يحتقبُ جلياً أمام ذوي البصر بالشعر، الذين لا يغيب عنهم سطوه على معاني سابقيه، وإغارته على أنساق تعابيرهم بعد أن يخلع عليها من بروده أسبالا لا جدة في جلها ولا طرافة، ومن ذلك قوله:

فَلَـولا شَـجَاعَتُهُ مَـا نَجَـا وَلَكِنَّـــهُ حُـــوُّلٌ قُلَّـــبُ

فمدوحه فطن أريب، يتقلب في وجوه الحيل؛ وصولا إلى مبتغاه بعد روية وفكر، والمعنى وإن كان مما يمدح به إلا أن خلوه من دفقة شعور تدهش، أو وثبة خيال تأسر، جعلته باهتا يفتقر إلى روح الشعر الداعية إلى الإعجاب والاستحسان، فقوله" حُوُّلٌ قُلَّبُ " من مكرور السابق ومعاده، ومن ثم فنسبته إليه أصيل اصطنعه، في الوقت الذي ينظر إليه في قول اللاحق على أنه مسروق اقتطعه، وأمثال تلك الاتكاءات على أقوال السابقين ومعانيهم كثيرة في الشعر القديم إلا أن الفيصل والحالة تلك مرده إلى موهبة الشاعر ومقدرته، فالحذق من الشعراء من يأخذ المعاني فيخلع عليها من إهابه ما يروق ويطرب، فتنتشي أعطاف فنه بالديباجة الموشاة، والروعة الآسرة، وحينئذ يُتَنَاسى القديم الأصيل، ويعلق بالنفس ذلك المكرور بعد صهره في بوتقة إبداعه، فيتبدى رافلا في أبراد زينته، مؤتلقا في ثوبه الجديد.

وفي المقابل يأتي المعنى ذاته عند شاعر أخر قعدت به موهبته صورة كابية لا تحمل في طياتها أكثر من الإعادة ثقلا والتكرار رتابة دون ما يفكه ويدهش.

وصاعد في بيته مقلد ناقل، أخذ من سابقيه نصاً من غير تغيير ولا تبديل، لا فرق في ذلك بين معانيهم وتراكيبهم، فقوله " حُوَّلٌ قُلَّبُ " من قول أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها في حرب الفجار(١):

وكـــم مـــن مـــدره فـــيهم أريـــب حـــول قلـــب

ومدره قومه زعيمهم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه، والأريب الحاذق الفطن، والحول القلب هو الذي يتصرف في وجوه الحيل ويتقلب في التدبير والإحكام، وهو المعنى الذي أخذه صاعد في مدحته دون حذف أو إضافة.

والعرب تقول:إنه لحول قلب:وهو المجرب الذي يقلب الأمور، يقول الشاعر(٢):

ومـا غـرهم لا بـارك الله فـيهم وهـو فـيهم قلـب الـرأي حـول

وروي أن معاوية لما احتضر قال لابنتيه(٣): قلباني فإنكما لتقلبان حولا قلبا إن وقي كبة النار، وكان يتمثل بقول الشاعر:

الحـوَّلُ القُلَّـبُ الأريـبُ وهـل يـــدفعُ صرفَ المنيـــةِ الحيَـــلُ

وأخذ المعنى عمر بن أبي ربيعة فأعاد سبكه في إحدى غزلياته، فقال(٤):

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام جمعه:بشير يموت- المكتبة الأهلية، بيروت - ط١/ ١٩٣٤م–صـ١١٢.

(٢) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري - دار الكتب العلمية - بيروت-ط٢/ ١٩٨٧م – جـ ١/ ٤٢٢.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر-تح: عمرو العمروي- دار الفكر للطباعة بيروت- ١٩٩٥م – جـ ٦٩/ ٥١.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة – دار القلم – بيروت – صـ ١٣٩ .

وَجَـرَى بَيْنَنَـا مُقَـرَّبَ كَـلاًّ حُـوَّلٌ قُلَّـبُ اللِّسَـانِ رَفِيـقُ

و" حُوَّلٌ قُلَّبُ " وظفها ابن الرومي في شعره تدليلا على ذكاء ممدوحه وحسن تخلصه، فصاحبه لو دخل في ثقب إبرة لأحسن التخلص والخروج لفرط ذكائه وقدرته على التقلب في الحيل وصولا إلى هدفه، يقول(١):

حُـوَّلٌ قُلَّـب لـو تغَـلَّ(٢) يومـاً في خُروتٍ(٣) لأزْلَقته الخُروتُ

ومن ذلك قول أبي محمد القاسم بن يوسف يمدح إسحاق بن إبراهيم ألمصعبي والي بغداد من قبل المأمون(٤):

أم يـردُّ الشـبابَ لـبٌّ لبيـبٍ حُـوَّل قُلَّـب أريـب أديـب

والواقع الشعري يثبت أن صاعداً لم يُعَنِّ نفسه بغير المشاع السائر اتكالاً، والملوك المعاد اتباعاً، فلم يكن في جُلِّ شعره ممن يسبرون أغوار المعاني، ويغوصون وراء رائقها بحثا عن لفتة دالة، أو ظفراً بوثبة آسرة، فقصاراه تكرار معاني سابقيه – إلا ما ندر – متخذاً منها معارجا يرقى بها إلى حيث رجا من وراء نظمه وأمَّل.

وسوق الأمثلة تدليلا على تقليد صاعد واحتذائه أقوال سابقيه، وسطوه على معانيهم كثيرة في شعره، حتى ليمكن للمتأني إرجاع جُل شعره إلى متقدميه، وفيما سبق

(١) ديوان ابن الرومي – تح: أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية بيروت – ط٢/ ٢٠٠٢ م – صـ ٢٥٧ .

(٢) انْغَلَّ في الشيء: دخلَ فيه .

(٣) الخرت: الثقب في الأذن والإبرة والفأس وغيرها .

(٤) الأوراق قسم أخبار الشعراء للصولي- شركة أمل للطباعة – القاهرة – ١٤٢٥ هـ - جـ١/ ١٩٧ .

عرضه غنية عن التطويل والسرد، فالشيء يدلك قليله على كثيره، ويشي مذكوره بما دونه، فليس الوكد -والحالة تلك- الاحتفال بالبسط المترهل، والاسترسال في العرض والطرح، وإنما الاكتفاء بالإشارات الدالة على ما غام من جنبات القضية بما يتناغم وطبيعة البحث، وهاك أمثلة أخرى تعضد الرأي وتدفع ما عساه يخالط النفس من كثرة أخذه وسطوه:

- قال صاعد البغدادي(١):

غَــزْوٌ كَوَلْــغِ عَــنْ ظَمَــأٍ فِي بَــارِدٍ خَصِرٍ مــن الشُّعَــبِ

ووصفه تتابع الغزو وسرعته بولغ الذئب من أمثال العرب المعروفة، فالعرب يقولون(٢):" غَزْوٌ كَوَلْغِ الذِّئْبِ " وهم يريدون غزو متدارك متتابع والولغ شرب السباع بألسنتها.

وقد راق المعنى حاجز الأزدي اللص فوظفه في شعره واصفاً انصباب الخيل في الغارة وسرعةانقضاضها، فقال(٣):

بغَـزْوٍ مِثْـلِ وَلْـغِ الـذِّئْبِ حَتَّـى يَبــوءَ بصــاحِبِي ثَــأْرٌ مُنِــيمُ(٤)

وقالَ أعرابي يصف تتابع غاراتهم على غيرهم من القبائل(٥):

(١) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٨ .

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٥٦ .

(٣) أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها للوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين -أعده للنشر: حمد الجاسر- دار اليمامة، الرياض-١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م -صـ ١٢٥ .

(٤) ومنيم أي مهلك، جعل الموت نوما، ويقال هذا كقولهم: ثأر منيم .

(٥) أدب الخواص ١٢٥ .

نُقـاذفُ بالغـاراتِ عبساً وطيئـاً وقـد هربـت منـا تمـيمٌ ومـذْحجُ
بغَزْوٍ كوَلْـغِ الـذِّئْبِ غَـادٍ ورَائـحٍ وسَيْرٍ كنَصْـلِ السَّـيْفِ لا يَعَـوَّجُ

-قال صاعد[١]

فِي غَـيْرِ أَيَّامِـهِ يُشْـنَى الصَّـبُوحُ وفِي أَيَّامِـهِ فَلْـيَكُنْ غَـيُّ الهَـوَى رَشَـدَا

والمعنى أخذه من قول أبي عَليّ البصري[٢]:

غـيُّ الهَـوَى للصـبِّ غايـةُ رُشـده فذريـه مـن حَـلِّ المـلام وعَقـدِهِ

- قال صاعد[٣]:

فَـإِنَّ الجُـارَ عِنْـدَكَ بَـيْنَ جَنْبِـي عُقَـابِ الـجَّنِ كَـاسِرَةِ الجُنَـاحِ

ولعمْرو بن مالكِ[٤]:

وسَـابِحٍ كعُقَـابِ الـدَّجْن أَجْعَلُـه دُونَ العِيَـالِ لـه الإِيثـارُ واللَّطَـفُ

ويقول جُندبٍ[٥]:

أَتَتْـك كأَنَّهـا عِقْبـانُ دَجْـنٍ تَجَـاوَبُ في حَنَاجِرِهـا الـيَرَاعُ

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ٢٠ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٢٢ / ٢٢٥ .

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١ / ٥٤ ، الحلة السيراء ١/ ٢٨٣ .

(٤) الحور العين لنشوان بن سعيد الحميرى - تح: كمال مصطفى- مكتبة الخانجي القاهرة- ١٩٤٨م صـ ٢٢١.

(٥) التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا للمبرد - تح: إبراهيم محمد حسن الجمل - نهضة مصر للطباعة – صـ ٢٧٦

القسم الثاني
المتبقي من شعر
صاعد بن الحسن البغدادي
جمع وتوثيق

منهج الجمع والتوثيق

١- الاعتماد في الجمع والتخريج على المصادر المعتمدة دون غيرها من المراجع والدوريات.

٢- تتبع النص في مصادره ومظانه المتنوعة " أدبية، وتاريخية، وتراجم، وأنساب، وبلدان، ومعاجم، ولغة، وبلاغة، وغير ذلك ".

٣- التأكد من صحة نسبة أبيات القصيدة، أو المقطعة لصاعد بالوسائل المعينة على ذلك.

٤- البدء بالمصدر الأقدم، ثم الذي يليه زمنيا، إلا أن يكون النص "قصيدة أو مقطعة " ورد كاملاً في أحد المصادر التالية له، فيقدم حينئذ مصدر النص الكامل، أو الأكثر عدداً في إيراد أبيات صاعد، ثم تليه كل المصادر التي أوردت النص، أو جزءاً منه.

٥- التنويه على عدد الأبيات المنصوص عليها في كل مصدر من مصادر التخريج عند اختلافها زيادة ونقصانا في إيرادها.

٦- مراجعة النص المعتمد على بقية المصادر التي أوردته، أو جزءاً منه، ثم الإشارة إلى اختلاف الروايات، وإثباتها في الهامش؛ لما لها من أهمية في هذا الباب، وعليه فإن هذه الاختلافات تذكر، ويُنص عليها من بقية المصادر التي أوردته، دون المصدر الأصيل الذي نقل منه النص، إضافة إلى إعادة ذكر البيت كاملا في الهامش إذا اختلفت روايته في معظمه عن الرواية المعتمدة، مع الإشارة إلى مصدر تلك الرواية.

٧- ذكر انفرادات المصادر بشطر أو بيت أو عدة أبيات من النص المثبت، ووضع الزيادة في مكانها من النص لاستكمال ناقصه، مع التنويه على ذلك في التخريج والتوثيق.

٨- ترتيب النصوص المثبتة في المجموع حسب القوافي ترتيباً أبجدياً، مع المراعاة في الترتيب حركة حرف الروي في القافية، فيقدم الأخف حركة، ثم الذي يليه؛ وعليه قُدِّم الروي الساكن، ثم وليه المفتوح، ثم المضموم، ثم المكسور.

٩- اعتماد الترتيب المشار إليه في البند السابق إلا أن يتعذر ذلك، كأن ترد مجموعة من النصوص لصاعد ضمن قصة طويلة يتخللها نصوص مختلفة القوافي لا يمكن فصلها، أو إيرادها بمعزل عن الحادثة؛ لأنها حينئذ تفقد أهميتها، وتصير مسخاً شائهاً مبتوراً عن جذره وأصله، والمعول عليه والحالة تلك ترتيب النص حسب روي أول مقطوعة وردت فيه، ثم تكملة القصة بنصوصها دون الالتفات إلى روي النصوص التالية بعد ذلك، ولا تعاد الأشعار مجتزئة من حوادثها في ترتيب قوافيها بعد ذلك.

١٠- ذكر المقدمات النثرية للنصوص المثبتة والواردة في مصادرها تمهيداً لها، والمعينة على فهم ملابسات القصيدة أو المقطعة، نظماً و إنشاداً، مكاناً و زماناً، طولاً وقصراً، روية وارتجالاً، إلى غير ذلك مما له شوابك صلات متممة وموضحة.

١١- ذكر الخواتيم النثرية المنصوص عليها في نهايات الأشعار مما لها علاقة بالنص، وصلة به إن كانت.

١٢- ذكر البحر الذي يندرج تحته النص قبل إيراده، مع الإشارة إلى التام منه و المجزوء.

١٣- ضبط النص بالشكل ضبطاً كاملاً؛ تتميما للفائدة.

١٤- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في النص من مصادر التراجم الأصيلة في ذلك.

١٥- شرح غوامض الكلمات التي تحتاج إلى تبيان معناها؛ لاستجلاء المعنى ووضوحه، مع الرجوع في ذلك إلى المعاجم اللغوية المعتمدة.

١٦- ترقيم القصائد والمقطعات الشعرية عددياً، وكذلك ترقيم الأبيات الشعرية داخل النص الواحد؛ لحصر الأشعار، وسهولة الرجوع إليها متى أُرِيد ذلك.

١٧- إرجاء الأبيات المتنازعة النسبة بين صاعد وغيره إلى نهاية الجمع، تحت عنوان " أبيات متنازعة النسبة بينه وبين غيره " مع تخريجها من مظانها المختلفة المتوافقة مع منهج التوثيق اعتمادا على المصادر دون غيرها، والبدء بالمصادر التي أثبتتها لصاعد أولاً، ثم إردافها بالمصادر التي نسبتها لغيره، مع ذكر اختلاف الروايات إن وجدت، ثم عرضها على طبعات ديوان الشاعر المختلفة إن كان له ديوان، مع تقديم الأحداث طباعة، والمحقق على غيره، ثم إثبات نسبتها لصاعد، أو لغيره اعتماداً على القرائن المعينة.

- ١ -

❁ قال صاعد البغدادي يصف مدينة الزاهرة[١] ويمدح المنصور بن أبي عامر[٢]:"بسيط

١- يَا أَيُّهَا المَلِكُ المَنْصُورُ من يَمَنٍ ولُبتَنِى نَسَباً غَيْرَ الذي انتَسَبَا

٢- بِغَزْوةٍ في قُلُوبِ الشِّرْكِ رائِعَةٍ[٣] بَيْنَ لُمَايَا تُنَاغِى السُّمْرَ والقُضُبَا

(١) الزاهرة مدينةٌ عظيمةٌ بناها المُنْصُور مُحَمَّد بن أبي عَامر بشرقي قرطبة على النَّهر الْأَعْظَم محاكياً للزهراء في سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وقد ابتناهَا على طريقِ المباهَاةِ والفخامة، وهي ذات قصور ومتنزهات . انظر صفة جزيرة الأندلس للحميري – تح: ليفي بروفنسال – دار الجيل –بيروت – "٢/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م – صـ ٨٠-٨٢، البيان المغرب ٢/ ٢٩٩،نفح الطيب ١/ ٥٨٥.

(٢) المُنْصُور مُحَمَّد بن أبي عَامر مُدبر أَمر الأندلس في دولة هشام المؤيد، كان أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء، وله بها قدر وأبوة،وكانت له همة يحدث بها نفسه بإدراك معالي الأمور، تغلب على الأندلس كلها، وغزا نيفاً وخمسين غزوة لم يهزم في واحدة منها،وتوفى في طريق الغزو في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة . انظر جذوة المقتبس ٧٨، ٧٩، بغية الملتمس ١١٥ - ١١٧، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٢٥٦، الحلة السيراء ١/ ٢٦٨، نفح الطيب ١/ ٣٩٩.

(٣) في البيان المغرب "راتعة " بدلا من " رائعة " .

٣- أَمَا تَرَى العَيْنَ تَجْرِي فَوْقَ مَرْوَهَا زَهْـواً فَتُجْـرِي عَـلَى أَحْفَافِهَـا[١] الطَّرَبَـا

٤- أَجْرَيْتَهَا فَطَمَا[٢] الزَّاهِي بِجِرْيَتِهَا كَـمَا طَمَـوْتَ فَسُـدتَّ العُجْـمَ والعَرَبَـا

٥- تَخَـالُ فِيـهِ جُنُـودَ المَـاءِ رافِلَـةً مُسْـتَلْئِ تِ[٣] تُرِيـكَ الـدِّرْعَ وَالْلَبَـا[٤]

٦- تَحُفُّهَـا مِـنْ فُنُـونِ الأَيْـكِ زَاهِـرَةٌ قَـدْ أَوْرَقَـتْ فِضَّـةً إذ أَوْقَـتْ[٥] ذَهَبَـا

٧- بَدِيعَـةُ المُلْـكِ مَـا يَنْفَـكُّ نَاظِرُهَـا يَتْلُـو عَـلَى السَّـمْعِ مِنْهَـا آيَـةً عَجَبَـا

٨- لا يُحْسِنُ الدَّهْرُ أَنْ يُنْشِي لَهَا مَلَكاً وَلَـوْ تَغَنَّـتَ[٦] فِيهَـا نَفسَـهُ طَلَبَـا

التخريج:

نفح الطيب ١ / ٥٨٠، ٥٨١ ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب٢ / ٢٧٧.

❁ ❁ ❁

(١) في البيان المغرب "أحسائها " بدلا من " أَحْفَافِهَا " .

(٢) طما الشيءُ: كَثُرَ حتى عَلا وغَلَبَ .

(٣) مُستلئماتٌ: مُدرعات، و اسْتَلأَم الرجلُ إذا لبِس ما عنده من عُدّةٍ رُمْحٍ وبيضة ومِغْفَر ونَبْل .

(٤) اليَلَبُ محركةً: التّرَسَةُ، أو الدُّروعُ من الجُلودِ، أو جُلودٌ يُخْرَزُ بعضُها إلى بعضٍ لُبَسُ على الرُّؤُوسِ خاصَّةً، والفُولاذُ،وخالِصُ الحَديدِ، وجُنَنٌ من لُبُودٍ حَشْوُها عَسَلٌ ورَمْلٌ، والعظيمُ من كُلّ شيءٍ والجِلْد .

(٥) في البيان المغرب " أثمرت " بدلا من " أَوْقَتْ " .

(٦) تعنَّتَ: بذل غايةَ جهدِه .

- ٢ -

❁وقال صاعد بن الحسن في باب الشتاء والصقيع: (كامل)

١- مَـوْلايَ إنَّ اليْـوْمَ حُسْـنٌ كُلَّـهُ والْقُـرُّ[١]مُشْـتَبِكُ الجَوَانِـبِ مُحْـرَبُ[٢]

٢- فَاشْهِرْ عَلَيْهِ سِلاحَهُ وَاقْذِفْ بِهِ فِي قَعْـرِ كَـأْسٍ كَالضِّـرَامِ[٣] تَلَهَّـبُ[٤]

٣- فالشَّـرُّ بالشَّـرِّ المُـبَرِّحِ[٥] يُتَّقَـى والقِـرْنُ[٦] بـالقِرْنِ المُصَـمِّم يُغلَـبُ

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ١٦٦ – ١٦٧ مقطوعة رقم ٣٦٠ (باب في الشتاء والصقيع).

- ٣ -

❁ قال صاعد البغدادي يمدح مجاهد العامري، وقد استهاله على البعد بخريطة مال ومركب: (متقارب)

١- أَتَتْـكَ[٧] الخَرِيطَـةُ والمرْكَـبُ كَـمَا اقْـتَرَنَ السَّـعْدُ والْكَوكَـبُ

(١) القُرُّ: البَرْدُ .

(٢) مُحْرَبُ: شديد الاصطكاكِ لاصطِدَامِ هوائه وقوةِ تدافعه .

(٣) الضِّرامُ: شدةُ اشتِعالُ النارِ .

(٤) يلهبُّ: يشتدُ حرُّهُ ولهيبُه .

(٥) المبرِّحُ: الشديد القوي، يقال ضربه ضرباً مُبَرِّحاً أي شديداً .

(٦) القِرْنُ بالكسر: الكُفْءِ والنظير في الشجاعة والحرب ويجمع على أَقران .

(٧) في البغية، ومعجم الأدباء، وتاريخ الإسلام: " أتتني " .

٢- قَـالُوا مَـن الوَاهِـبُ المسْـتَقِلُّ عَقَـائِلَ[١] عُيِّـا بِهَـا الحُسَّـبُ؟

٣- فقلـتُ فَتـىً أَصْـفَيُّ النّجَـارِ[٢] يَـرُوعُ بِـهِ المَشْـرِقَ المغْـرِبُ

٤- يُحَكِّـكُ[٣] أَسْـيَافَهُ بِـالرَّدَى كَـمَا حُـكَّ بِالْهُـانِئِ[٤] الأَجْـرَبُ

٥- فَلَـولا شَـجَاعَتُهُ مَـا نَجَـا وَلَكِنَّـهُ حُـوَّلٌ قُلَّـبُ[٥]

٦- بَصِـيرٌ بتَوْسِـيعِ سُـبْلِ الفِـرَارِ إِذَا ضَـاقَ بِـالمُزْهَقِ المُهْـرَبُ

٧- هُنَـاكَ أَبَـا الجَـيْش مَـنْ جَيْشُـهُ أَسَـارَى كَـأَنَّهُمُ الرَّبْـرَبُ[٦]

٨- يَـرِقُّ عَلَيْهَـا السِّـنَانُ[٧] الحُقُـودُ وَيَرْحَمُهَـا الصَّـارِمُ[٨] المُغْضَـبُ

٩- هُـمْ يَخْضِـبُونَ[٩] صُـدُورَ القَنَـا وأَنْمُلُهُـمْ بَضَّـةٌ[١٠] تُخْضَـبُ

---

(١) عَقِيلة كُلِّ شيء أفْضلُه وأَكْرَمُه، والعقائل الدرر النفيسة، ويسْتُعْمِل في الكريم من كل شيء.

(٢) يريدُ كريمَ الأصلِ والأَرُومةِ والحسَب .

(٣) الحَكُّ إِمْرار جِرْم على جرم صَكّاً به،ويقال تَحَاكَّ الشيئَان إذا اصْطَكَّ جرماهما فَحَكَّ أَحدهما الآخر .

(٤) هَنَأْتُ البعيرَ بالفتح أَهْنَؤُه إِذا طَلَيْتَه بالهِناءِ وهو القَطِرانُ، وهذا الطلاء يكونُ للجمال التي أَصَابها الجَرَبُ .

(٥) فلان حُوَّلٌ قلبٌ، أي: يتقلب في وجوه الحيل .

(٦) الربربُ جماعةُ الإبلِ المختلطة، أو هي الإبلُ تُخَلَّى لتسرح مختلطةً حيث شاءتْ .

(٧) السِّنَانُ: هي الرماحُ المسنونةُ .

(٨) الصارمُ: السيفُ القاطعُ المُصيب .

(٩) خَضَب الشيءَ يَخْضِبه خَضْباً، وخَضّبه: غَيّر لونه بحمرة أو صُفرة أو غيرهما .

(١٠) البضةُ: الناعمة اللينة،امرأَة بَضَّةٌ تارّة ناعمة مكتنزة اللحم في نَصاعةِ لون وبَشَرةٌ،ورجل بَضٌّ أَي رقيق الجلد.

١٠- وَلَمْ أَرَ مِـــنْ قَـــبْلِهِمْ فَارِســـاً يَلِيـــقُ بِـــهِ الحُـــلْيُ وَالمُـــذْهَبُ

١١- فَـإِنْ شِـئْتَ أَنْ يَرْكَبُـوا يَرْكَبُـوا وَإِنْ شِـــئْتَ أَنْ يُرْكَبُـــوا يُرْكَبُـــوا

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤- مج ١/ ١٢، ١٣، والأول وحده في جذوة المقتبس ٣٥٤، بغية الملتمس ٢/ ٦٣٣، معجم الأدباء ٥ / ٢٢٧٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩/ ٤٣٥. وفيها كلها " أتتني " بدلا من " أتتك".

- أوردت المصادر الأربعة الأخيرة " جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، ومعجم الأدباء، وتاريخ الإسلام "خمسة أبيات من القصيدة ليس من بينها إلا البيت الأول من النص السابق، والأبيات الأربعة الأخرى انفردن بها دون الذخيرة، يقول صاحب الجذوة : وفي مجاهد العامري يقول أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي - وقد استهاله على البعد بخريطة مال ومركب أهداهما إليه - قصيدة أولها: (متقارب)

- ٤ -

١- أَتَتْنِـــي[١] الخَرِيطَـــةُ وَلْرَكَـــبُ كَـــمَا اقْـــتَرَنَ السَّـــعدُ والْكَوْكَـــبُ

٢- وحَـــطَ بِمِينَائِـــهِ قِلْعَـــهُ كَـــمَا وَضَـــعَتْ حَمْلَهَـــا المُقْـــرِبُ[٢]

٣- عَـــلى سَـــاعَةٍ قَـــامَ فيهَـــا الْبِنَـــاءُ [٣] عَـــلَى هَامَـــةِ المُشْـــتَرِي يَخْطُـــبُ

٤- مُجَاهِـــدُ رُضْـــتَ إِبَـــاءَ الشَّـــمُوسِ فَأَصْـــحَبَ مَـــا لَمْ يَكُـــنْ يُصْـــحَبُ

(١) في الذخيرة " أتتك "، ولم يرد فيها سوى هذا البيت دون بقية المقطوعة .

(٢) المانِحُض من النساء والإبل والشاء: هي الحامل المُقْرِبُ التي دنا وقت مخاضها .

(٣) في معجم الأدباء: الثناء .

٥- فَقُـلْ واحْـتكِمْ فَسُـمَيْعُ الزَّمَـا نِ [١] مُصِـــيخٌ [٢] إلَيْـــكَ بِـــمَا تَرْغَـــبُ

التخريج:

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ٣٥٤، بغية الملتمس ٢/ ٦٣٣، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥/ ٢٢٧٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩/ ٤٥٣.

❁ ❁ ❁

-٥-

❁ وقال صاعد البغدادي باب شواذ تقل نظائرها: (كامل)

١- حتَّـى أَتـاكَ وَجَبُـهُ[٣] لـكَ نَاصِـحٌ مُتنَـــدِّمٌ[٤] مِمَّـــا جَنَـــاهُ مُنِيـــبُ[٥]

٢- يَلْـوِي يَدَيْـهِ عـلى رِضَـاكَ كَـأَنَّمَا يَلْـوِي يَدَيْـهِ بِيُوسُـفٍ يَعْقُـوبُ

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني صـ٢٧٦ مقطوعة رقم ٦٦١(باب شواذ تقل نظائرها).

❁ ❁ ❁

(١) في معجم الأدباء: فقل واحتكم لي فسمع الزمان.

(٢) مُصِيخٌ: سَامِعٌ مُنْصِت .

(٣) فلانٌ ناصحُ الجَيْبِ يُعْنَى بذلك قَلْبُه وصَدْرُه أَي أَمِينٌ، فهو صادقُ النُّصح .

(٤) مُتَنَدِّمٌ: شديدُ الأسفِ والنَّدم .

(٥) منيبٌ: عائد راجع .

- ٦ -

❁ ذكر صاحب الجذوة أن أبا العلاء صاعد لم يحضر بعد موت المنصور مجلس أنس لأحد ممن ولي الأمور بعده من ولده، وادعى وجعاً لحقه في ساقه لم يزل يتوكأ به على عصا، ويعتذر به في التخلف عن الحضور والخدمة، إلى أن ذهبت دولتهم، وف ذلك يقول في قصيدته المشهورة في المظفر أبي مروان عبد الملك بن المنصور أبي عامر[١]، وهو الذي ولي بعد أبيه، وأولها: (وافر)

١ - إليكَ حَدَوْتُ نَاجِيَةَ[٢] الرِّكَابِ مُحَمَّلَةً أَمَانِيَ كالهِضَابِ

٢ - وبِعْتُ مُلُوكَ أَهْلِ الشَّرْقِ طُراً بِوَاحِدِهَا وسَيِّدِهَا اللُّبَابِ[٣]

وفيها:

٣ - إلى الله الشَّكِيَّةُ مِنْ شِكَاةٍ رَمَتْ سَاقِي وَجَلَّ بِهَا مُصَابِي

٤ - وَأَقْصَتْنِي عنِ المَلِكِ المُرَجَّى[٤] وَكُنْتُ أَرُمُّ[٥] حَالِي بِاقْتِرَابِي

ومما استحسن له قوله فيها:

---

(١) الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور خلف أباه المنصور في الحجابة (٣٩٢ - ٣٩٨)، وكانت السلطة الفعلية بيده، وسار على نهج أبيه في الغزو، وفي أيامه أخلد الأندلسيون إلى الراحة وتنافسوا في زخرف الدنيا انظر الذخيرة ق٤مج١/ ٧٨ وما بعدها .

(٢) ناقَةٌ ناجِيَةٌ: سَرِيْعةٌ .

(٣) اللُّبَابُ: الخَالِصُ المُتَخيَّرُ من الرِّجَالِ وغيْرِهِم .

(٤) المأمولُ لكلِّ خيرٍ .

(٥) رَمَّ حالَهُ: أَصْلَحهُ .

٥- حَسَـبْتُ[١] المُنْعِمِـينَ عـلى البَرَايَـا فَأَفْنَيْـتُ اسْـمَهُ صَـدْرَ الْحِسَـابِ

٦- ومَـا قَدَّمْتُـهُ إِلَّا كَـأَنِّي أُقَـدِّمُ تَالِيـاً أُمَّ الكِتَـابِ[٢]

التخريج:

جذوة المقتبس ٢٤١، وبغية الملتمس ٢/ ٤١٤، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٣ -، ومعجم الأدباء ٤/ ١٤٤١، وانباه الرواة على أنباه النحاه للقفطي ٢/ ٨٧.

-وذكر المراكشي في المعجب أن الحميدي قال: أخبرني أبو محمد علي بن الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم أنه سمع أبا العلاء ينشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في عيد الفطر سنة ٣٩٦ - قال: أبو محمد وهو أول يوم وصلت فيه إلى حضرة المظفر - ولما رآني أبو العلاء أستحسنها وأصغي إليها كتبها لي بخطه وأنفذها إلي.

❁ ❁ ❁

-٧-

❁ وقال صاعد " باب في الخوف والمهابة " (كامل)

١- غُوٌّ كَوَلْغِ الذِّئْبِ[٣] عَنْ ظَمَأٍ في بَـارِدٍ خَصِرٍ[٤] مِـن الثُّعَـبِ[٥]

---

(١) الحَسَبُ:العَدُّ .

(٢) أُمُّ الكتاب:الحمد لله وهي فاتحة الكتاب،وقيل عِلم الكتاب،وقيل الكتاب كلُّه،والصحيح الأول .

(٣)"غزو كولغ الذئب " مثل مشهور،والولغ شرب السباع بألسنتها أي غزو متدارك متتابع - مجمع الأمثال للميداني-تح/ محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة-بيروت-جـ ٢ / ٥٦ .

(٤) الخصر: هو البارد من كل شيء.

(٥) ثَعَبَ الماءَ والدَّمَ ونحوَهما يَثْعَبهُ ثَعْباً: فَجَّره فانْثَعَبَ كما يَنْثَعِبُ الدَّمُ من الأَنْف، وقيل هو مجرى الماء ونحوه .

٢- تُزجَى[١] الْجِيَادُ إلى الْجِيَطِ كَمَا تُزجَى الْخَوَامِسُ[٢] لَيْلَةَ القَرَبِ[٣]

٣- فَكَأَنَّهَا هِيَ غَيْرَ أَنَّ لَهَا شُرْباً تُفَجِّرُهُ بِذِي شُطَبِ[٤]

٤- خَاضَ الْبِحَارَ إِلَيْهِمُ وَهَوَى كَالسَّيْلِ مِنْ عَالٍ إلى صَبَبِ[٥]

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٨ مقطوعة رقم ٤٥٧ (باب في الحروب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتح).

❁ ❁ ❁

-٨-

❁ قال صاعدُ البغدادي يذكر ورود رسول ملك الروم بكتاب وهدايا على عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر يطلب المسالمة: (المنسرح)

١- زَلْزَلْتَ بِالْمُرْهَفَاتِ صَاحَبَ قُسْـ طَنْطِينَ حَتَّى اتَّقَاكَ بِالْكُتُبِ

٢- يَطْلُبُ فِيهَا رِضَاكَ مُجْتَهِداً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّقِيكَ بِالْهَرَبِ

---

(١) التَّزْجِيةُ: دَفْعُ الشَّيْءِ كما تُزْجِي البَقَرَةُ وَلَدَها أي تَسُوْقُه. والرِّيْحُ تُزْجي السَّحَابَ.١

(٢) الْخَوَامِسُ: الإبل تمنع من الماء خمسة أيام ثم ترده بعد ذلك، فيكون العطش قد بلغ بها مبلغا،

(٣) القَرَب: سَيْرُ اللَّيلِ لِوردِ الماء في الغَدِ، وقيل القَرَبُ طَلَبُ الماءِ لَيْلاً لإرواء الإبل الخوامس العطاش، أو أن لا يكونَ بَيْنَكَ وبينَ الماءِ إلاَّ لَيْلَةٌ، أو إذا كان بَيْنَكُما يومانِ فأوَّلُ ليلةٍ تَطُبُ فيها الماءَ تُسمى:القَرَبُ .

(٤) الشطب من الإبل: المهْزولة كأَنها سَعَفَةٌ نخل في دِقَّتِها، أي أَنها قليلة اللحم ضعيفة، وقيل: هي الطرائق، وقيل: الشُّطَبُ القِطْعَةُ مِنْ سَنامِ البَعيرِ تُقْطَعُ طُولاً، وقيل هو سنان السيف.

(٥) الصبَبُ: انحطاط نَهْرٍ أوَ طَرِيْقٍ فيه حُدُور وتهاوي .

٣- فَلَـيْسَ بِالْفَائِـتِ لِلْعِيـدِ مَـعَ لَلّـ ـــهِ إِذَا مَـــا هَمَمْـــتَ بِالطَّلَـــبِ

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٨٦.

❁ ❁ ❁

- ٩ -

❁ ومن شعر أبي حفص بن بُرْد[١]، مما خَاطبَ به أبَا العَلاءِ صَاعِداً بن الحَسَن اللغوي من أبياتٍ يقولُ فيها: (بسيط)

١- أَبَـا العَـلَاء اسْـتَمِعْ غَـرِيضَ ذِي مِقَـةٍ[٢] أَهْدَى لكَ الوُدَّ مَحْضَاً[٣] غيرَ مَقْطوبِ[٤]

٢- نَـــاءٍ بِغُرْبَتِـــهِ والفهْـــمُ نِسْـــبَتُهُ وَكَـــمْ دَنِيٍّ قَصِـــيٍّ فِي لَمَاسِـــيبِ

٣- وَصَـــارَ فِي غُرْبَـــةِ الآدَابِ مُغْتَرِبـــاً أمَـا كَفَـى الـدَّهْرَ عَـيْشٌ دونَ غُرِيـبِ

٤- أَوْلاكَ مَحْمَـــدةً مِـــنْ بعـــدِ تَجْرِبَـــةٍ لا يَصْـلُحُ الحَمْـدُ إلا بعْـدَ تَجْرِيـبِ

٥- أَنْـتَ الـذي لَمْ يُعَـاشِرْ مِثْلَـهُ رَجُـلاً فِي الْعِلْـمِ والظَّـرْفِ والآدَابِ والطِّيـبِ

٦-تَحْصِـيلُ فَضْـلِكَ لِلْحُسَّـادِ مَعْجَـزَةٌ وَكُنْـهُ عِلْمِـكَ شَيءٌ غَـيْرُ مَحْسُـوبِ

---

(١) هو الوزير الكاتب أبو حفص بن برد الأكبر شاعر الأندلس وناثرها أيام المنصور وأبنائه،كان واسطة السلك، تقلد ديوان الإنشاء بعد ابن الجزيري، ثم كتب عن سليمان المستعين وغيره من أمراء الفتنة،توفي بسرقسطة سنة ثماني عشرة وأربعمائة .انظر الذخيرة ق١مج١/ ١٠٣ -١٢٨ .

(٢) وقِه، كورِثه، وَمْقاً، وقِةً: أحبّه .

(٣) المَحْض: خُلَاصَة كُلِّ شيْءٍ وخِيارُه .

(٤) القُطوبُ: تَزَوِّي مَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ، عِنْدَ العُبوس .

٧- أ مَّـا الفَّـاتُ فـلافُـوبُ يبلُـغُ مَـا وَعَيْـتَ منْهَـا ولا أشْـيَاخُ عُقُـوبِ
٨- وَأنْـتَ رَبُّ القَـوَافِي الشَّـارِدَاتِ بـهِ تُحْـدَى[١] وَسِـيقَتُهَا في كُـلِّ أُسْـلُوبِ
٩- إنَّـا نُنَادِيـكَ للجُـلَّى[٢] وأنـتَ لَهَـا طَـبٌّ غُـالِجُ فيهَـا كـلَّ مَطْلُـوبِ
١٠- فَهَـلْ شـعرتَ ببـدْرٍ طَـافَ بِي غَلَسَـاً[٣] رَخصٍ[٤] البَنانِ كَحِيلِ العيْنِ مَخْضوبِ[٥]
١١- أَهْـدَى إلى أَرِقٍ - لـو حَازَهـا - سِـنةً لمْ تَعْـدُ بِي مَـزْجَ تَصْـدِيقٍ بِتَكْـذِيبِ
١٢- حَيَّـا تَحِيَّـةَ ذِي أُنْـسٍ بنَـا وجَـلَا قِنَـاعَ وَجْـهٍ طَوِيـلِ الصَّـوْنِ مَحْجُـوبِ
١٣- فَقُلْـتُ: أهْـلاً ورَحْبـاً، مـن هـدَاكَ لنَـا لَـيْلاً - فَـرَدَّ بِتَأْهِيـلٍ وتَرْحِيـبِ
١٤- وقـالَ: مَـاذَا تَـرَى - قلـتُ: الغزَالَـةُ في ثَوْبِ احْمِرَارٍ مـنَ الظَّلْمَـاءِ غِرْبِيبِ[٦]
١٥- قَـالَ: اتَّئِـدْ! قلْـتُ: قـدْ أَبْصَرْـتُهَا قِـبَلاً فقـالَ: حِـلًّا، فقلـتُ: الحِـلُّ مَطْلُـوبِي
١٦- قَـالَ: تَحَـرَّ فَـلا تُشْـطِطْ[٧] بنَـا سَرَفـاً[٨] فقلـتُ: لـيسَ سِـوَى التَّقْصِـيرِ مَرْغُـوبِي
١٧- ثُـمَّ اعْلَمِـي أَنَّنِـي مِـنْ حُـبِّكُمْ دَنِـفٌ[٩] قالـتْ: عَلِمْـتُ فـلا تَخْضَـعْ لِمَحْبُـوبِ

---

(١) تُحْدَى: تبعثُ وتُساقُ .

(٢) الجُلَّى: الأَمر الْعَظِيمُ .

(٣) الغَلَس، مُحَرَّكةً: ظُلْمَةُ آخر اللَّيْل إِذا اخْتَلَطتْ بضَوْءِ الصَّبَاح .

(٤) الرَّخْصُ، بالفَتْحِ: الشَّيْءُ النّاعِمُ اللَّيِّنُ .

(٥) خَضَبَهُ يَخْضِبُهُ خَضْباً: لَوَّنَه، أَو غَيَّرَ لَوْنَه بحُمْرةٍ أَو صُفْرة أَو غيرِهما .

(٦) الغِرْبِيبُ: الشَّدِيدُ السَّوَاد .

(٧) الشَّطَطِ: الجَوْرُ، والبعدُ عَن الحَقِّ .

(٨) السَّرَف والإِسْرَافُ: مُجاوزةُ القَصْدِ .

(٩) الدَّنَفُ: المَرَضُ اللازِمُ المُخامِرُ .

١٨- قُلْتُ: الوصَالَ، قَالتْ: مَهْ[١] بَلَى وعَسَى ... وفي عَسَى فُرْجَةٌ تُرْجَى لِمَكْرُوبِ وعَسَى

١٩- ثُمَّتَ وَلَّتْ فأَبْقَتْ في الحشَا ضَرَماً ... يَذْكُو بدمْعٍ على الخَدَّيْنِ مَسْكُوبِ

٢٠- فَالآنَ فَازْجُرْ أَوِ اسْجَعْ إنْ هَمَمْتَ بِهِ ... كَسَجْعِ شِقٍّ[٢] أَوِ الأَفْعَى أوِ الذِّيبِ

٢١- هَذِي عِبَارَتُهَا فالأمْرُ مُشْتَرَكٌ ... تُلْقَى أَفَانِينُهُ طُرَّاً بتهْذِيبِ

فأجابه أبو العلاء صاعد بأبيات يقول فيها: (بسيط)

١- لَبَّيْكَ أَلْفَاً، أَبَا حَفْصٍ، إِجَابَةَ مَنْ ... يُمْلِي إِلَيْكَ بِوُدٍّ غَيْرِ مَأْشُوبِ[٣]

٢- أَبَعْدَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ احْفَتُ بِهَا ... حَتَّى قَرَعْتُ لِهَذَا الدَّهْرِ ظُنْبُوبِي[٤]

٣- رَمَيْنَنِي بِسِهَامٍ غَيْرِ طَائِشَةٍ ... حُورٌ زَرَيْنَ عَلَى صُمِّ الأَنَابِيبِ[٥]

٤- يَا مَنْ يُرَقِّعُ بِالآمَالِ مَا خَرَقَتْ ... يَدَا اللَيَالِي، قَبِيحٌ صَبْوَةَ الشِّيبِ[٦]

٥- نَادَيْتَنِي لِخَيَالٍ عَزَّ طَائِفُهُ ... إِلَّا لِيَوْمٍ عَصِيبٍ إِذْ تُنَادِي بِي

---

(١) مَهْ: كَلِمَةٌ بُنِيَتْ على السّكونِ، وَهِي اسمٌ سُمِّي بِهِ الفعْلُ، ومعْناهُ اكْفُفْ .

(٢) الشِّقُّ: جِنْسٌ من أَجناسِ الجِنِّ، وقيل: صوتٌ يُخْرِجُه البَعِيرُ من فيهِ إِذا هاجَ .

(٣) غَيْر مَأْشُوبٍ: صَافٍ لا يُخالِطُهُ كَدَر .

(٤) الظُّنْبوب: هُوَ حَرْفُ الْعَظْمِ اليابِسُ مِنَ السَّاقِ، وقَرْعُ الظُّنْبوبِ أَن يَقْرَعَ الرجُل ظُنْبُبَ رَاحِلَته بعَصَاه إِذا أَناخَها ليَرْكَبَهَا رُكوبَ المُسْرِع إِلى الشيءِ، وَقيل: أَنْ يَضْرِبَ ظُنْبُوبَ دابَّتِه بسَوْطِه ليُنْزِقَهُ إِذا أَراد رُكُوبَه، وَمن أَمثالهم: (قَرَعَ فُلَانٌ لأَمْرِهِ ظُنْبُوبَه) إِذا جَدَّ فِيهِ .

(٥) الْأَنَابِيب: هِيَ الرِّمَاح .

(٦) الصَّبْوَةُ: المَيْلُ إِلى الهَوى،وقيلَ الصَّبْوَةُ: جَهْلَةُ الفُتُوة، وَاللَّهْو من الغَزَل، والشيبُ الهرم والكبر .

٦- حَتَّى أَقِيكَ شَذَا[١] الْأَيَّامِ عَنْ عَضُدٍ[٢] مُلَـدَّدٍ[٣] وَحُسَـامٍ غَـيْرِ مَخْشُـوبِ[٤]

٧- إِيَّـاكَ وَالْمَوْعِـدَ الْخَـوَّانَ تَقْبَلُـهُ فَـلَا أَمَانَـةَ لِلُّـعْسِ[٥] الْمُخَاضِـيبِ

٨- فَاكْتُبْ عَلَى جَمَدٍ مَا قَدْ وَأَتْكَ[٦] بِهِ وَضَعْهُ فِي الشَّمْسِ يَذْهَبْ غَيْرَ مَصْحُوبِ

٩- وَلَا تَكُـونَنَّ قُرْحَانَـاً[٧] نَصَبْنَ لَـهُ حَتَّـى عَـدَوجْنَ عَلَيْـهِ عَـدْوَةَ الـذِّيبِ[٨]

١٠- اللهَ فِي قَلْبِـكَ الْمَزْجُـورِ عَـنْ دَدِهِ[٩] لَا تُسْـلِمَنْهُ لِتَسْـهِيدٍ وَتَعْـذِيبِ

١١- فَقَـدْ نَجَوْتَ وَمَا صَدَّقْتَ فَوْرَتَهُ مُهَشَّمَ[١٠] لْقِدْحِ[١١] مَهْضُومَ[١٢] الْأَنَابِيبِ[١٣]

١٢- شَـيْخَ الْـوِزَارَةِ جِنِّـيَّ لْكِتَابَـةِ إِنْ رَكِبْـتَ مِنْهَـا طَرِيقـاً غَـيْرَ مَرْكُـوبِ

---

(١) الشَذَا: الشَّرُّ والأَذَى .

(٢) العَضُدُ: الساعد .

(٣) المُلَدَّدُ: القويُّ الطَّوِيلُ، وأصْلُ الألَدّ: الطَّوِيلُ الأَخْدَعِ من الإبِلِ .

(٤) خَشَبَ السَّيْفَ: طَبَعَهُ أَي بَرَدَهُ وَلم يَصْقُلْهُ.

(٥) اللَّعَسُ: لَوْنُ الشَّفَةِ إِذا كانَتْ تَضْرِبُ إِلى السَّوَادِ قَلِيلاً، وَذَلِكَ مِمّا يُسْتَمْلَحُ .

(٦) وَأَتْكَ بِهِ: أي أَصَابْتْكَ به من الشَّدائِد والنَّوَازِل .

(٧) القُرْحان: الصَّبِيُّ لم يَمسَّه قَرْحٌ وَلَا جُدَرِيّ وَلَا حَصْبَة .

(٨) عَدْوَةَ الذِّيبِ: قُوَّةُ حرَكتُهُ، وسُرْعةُ انْقِضَاضِه .

(٩) الدَّدُ: اللَّهْوُ واللَّعِبُ .

(١٠) مُهَشَّمٌ: مَكْسُورٌ مُحَطَّم .

(١١) القِدْحُ، بِالْكَسْرِ: السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يُرَاشَ ويُنْصَلَ .

(١٢) هَضَمَ الشيءَ يَهْضِمُه هَضْماً، فَهُوَ مَهْضُومٌ وهَضِيمٌ: كَسَرَهُ وحَطَّمَه .

(١٣) هَضَمَ الشيءَ يَهْضِمُه هَضْماً، فَهُوَ مَهْضُومٌ وهَضِيمٌ: كَسَرَهُ وحَطَّمَه .

١٣- فَـلَا تَسُـومَنَّ شَيْخَاً طَـارَ طَـائِرُهُ[١] سَـوْمَ الشَّـبِيبَةِ[٢] فِي لُهْـوِ الْخَاعِيـبِ[٣]

١٤- وَأَنْتَ مُنْفَـرِدٌ لِلْضِـمَارِ[٤] مُنْصَـلِتٌ[٥] غَمْـرُ[٦] الْبَدِيهَةِ[٧] رَوَّاضُ[٨] الْمَصَاعِيبِ

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١ مج١/ ١٢٩ - ١٣١.

❁ ❁ ❁

- ١٠ -

❁ومن محاسن صاعد البغدادي قوله في وصف التفاح: (سريع)

١- تُفَّاحَـــةٌ أَذْكَـــرَنِي نِصْـــفُهَا خَـــدَّ حَبِيبِـــي يَـــوْمَ عَانَقْتُـــــهُ

٢- ونِصْـــفُهُ الآخَـــرُ شَـــبَّهْتُهُ بِلَـــوْنِ وَجْهِـــي حِـــينَ فَارَقْتُـــهُ

التخريج:

البيتان انفرد بإيرادهما أبو البقاء البدري في نزهة الأنام في محاسن الشام صـ ١٢٢.

❁ ❁ ❁

(١) يقالُ طارَ طائِرُهُ، وثارَ ثائِرُه، وفارَ فائِرُه، إِذَا غَضِبَ.

(٢) الشَّبِيبَةُ: أَوَّلُ الشَّبَابِ، وَهُوَ خِلافُ الشَّيبِ.

(٣) الخُرْعُوبُ: الغُصْنُ الغَضُّ أَو القَضِيبُ النَّاعِمُ، وقيل: القِطْعةُ مِنَ القَرْعةِ، والقِثَّاءِ، والشَّحْمِ.

(٤) الْمِضْمَارُ: مَكانُ السِّبَاقِ، والمِضْمارُ يكون غايَةً ووَقْتاً لِلأَيَّام الَّتِي يُضَمَّرُ فِيهَا الفَرَسُ للسِّباقِ.

(٥) الْمُنْصَلِتُ من الرِّجالِ: السَّرِيعُ الْمُتَشمِّرُ، أو الرَّجُلُ الْمَاضِي فِي الحَوائِجِ، الخفيفُ اللِّبَاس .

(٦) الغَمْرُ: الكَثِيرُ الدَّافِقُ، ومنه ماءٌ غَمْرٌ أيْ كَثيرٌ غُرِقٌ.

(٧) أَصْلُ البَدِيهَةِ أَوَّلُ كُلِّ شيءٍ وَمَا يَفْجَأُ مِنْهُ، وقيل: إنَّ أَصْلَ البَدِيهَةِ والارْتِجالِ فِي الكَلامِ، وَغلب فِي الشِّعْرِ بِلا رَوِيّة وتَفَكّرٍ، والارْتِجالَ أَسْرَعَ مِن البَدِيهَةِ، والرَّوِيَّة بَعْدَهما.

(٨) وَّاضُ: مُبَالغةٌ من القُدْرَة على التَّذْلِيل والتَّرْويضِ، وهي من رَاضَ الْمُهْرَ يَرُوضُهُ: ذَلَّلَهُ وَطَّأَهُ.

- ١١ -

❁وقال صاعد بن الحسن اللغوي " باب في وصف الخيل: (كامل)

١- وَأَغَرَّ(١) حَتْفِ(٢) الوَحْشِ خَاضَ بِأَرْبَعٍ مَاءَ اللُّجَيْنِ فَوْقَ لَوْنِ شَوَاتِهَا(٣)

٢- وكَأَنَّهُ لَمَّا تَرَصَّعَ حِلْيَةً بَذَرَ الثُّرَيَّا في دُجَى ظُلُمَاتِهَا

٣- ريَّانُ(٤) حيثُ تَلِيلُهُ(٥) ظَمْآنُ حيـ ثُ قُصُوصُهُ(٦) لَزَّتْ إلى دَأْيَاتِهَا(٧)

٤- لاغْدِلَنْ أَبَداً بِرَجْعِ صَهِيلِهِ شَدْوَ الوَلائِدِ(٨) رَجَّعَتْ نَبَرَاتِهَا

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ١٨٨ مقطوعة رقم٤٠٣(باب في الخيل).

❁ ❁ ❁

(١) الغُرَّةُ: بَيَاضٌ في جَبْهَةِ الفَرَس،وقيل: الأَغَرّ من الخَيْلِ: الذي غُرَّتُه أَكْبَرُ من الدِّقِم وسْط جَبْهَتِه.

(٢) حتف: الحَتْفُ المَوْتُ .

(٣) شَوَى الفَرَسِ: قَوَائِمُه، وقيل الشَّوَى: اليَدانِ والرِّجْلانِ، وفرس ظمآن الشَّوى إذا كان عُرَّق القوائم.

(٤) فرس رَيّانُ الظهر: إذا سمِنَ مَتْناهُ .

(٥) والتلِيْلُ: العُنُقُ ؛ لانْدِمَاجِه، وجَمْعُه تُلُلٌ وتَلائِلُ، والتِّلةُ: شَيْءٌ من وَنَصِ الإبِلِ، وهي البِلَّةُ بالفَمِ ..

(٦) القُصّة من الفرس: شعر الناصية وقيل ما أَقْبَلَ من الناصية على الوجه .

(٧) اللَّز: لُزُوْمُ الشيْءِ بالشَّيْءِ، والتصاقه به - الدأيات: عظام الكتف أو خرز العنق.

(٨) الوَليدةُ: الأَمَةُ والصَّبيَّةُ بينةُ الولادةِ والوَلِيدِيَّة والجمع الولائِدُ .

- ١٢ -

❁ قال صاعد البغدادي يمدح على بن وداعة أحد الفرسان الأبطال، ونبهاء الدولة، ويستشفع به: (وافر)

١- أَبَـا حَسَـنٍ رَبِيعَـةُ مِـنْ سُـلَيْمٍ سِـــــنَانٌ[١] زَانَ عَالِيَـــــةَ الرِّمَـــــاحِ

٢- وَإِنِّي عَائِـذٌ بِـكَ مِـنْ هَنَـاتٍ[٢] نَحـتْنَ[٣] دَعـائِمِي[٤] نَحْـتَ الْقـدَاحِ[٥]

٣- فَكُـرَّ عَـلَى ابْـنِ عَمِّـكَ وَانْتَشِـلْهُ فَلَـــيْسَ جِمَـــى ابْـــنِ عَمِّـــكَ بِالْبُـــاحِ

٤- فَـإِنَّ الْجَـارَ عِنْـدَكَ بَـيْنَ جَنْبِـي عُقَـــابِ[٦] الـــدَّجْنِ[٧] كَـــاسِرَةِ الْجَنَـــاحِ

ومنها في المدح:

٥- تُصَـــدُّ الْخَيْـــلُ بِاسْـــمِكَ فِي غَـــدِيرٍ عَـــلَى ظَمَـــإٍ عَـــنِ الْمَـــاءِ الْقَـــرَاحِ[٨]

---

(١) السنانُ: الرمحُ القويُّ .

(٢) هَنَاتٌ: شدائِدٌ، وأُمورٌ عظام .

(٣) في الحلة السيراء "تحش" بدلا من " نحتن "، نحتَهُ: بَرَاهُ وأَهْزَله، و نَحَتَ الجبلَ يَنْحِتُه قَطَعَه .

(٤) الدعَائمُ: أساسُ الشيءِ الذي عليه عمادُه وقوتُه وقوامُ أمرِه .

(٥) الحجرُ الذي يُقْدَحُ به النار .

(٦) العُقابُ:طائر من العِتاقِ، وقيل عِتاقُ الطير: العِقْبانُ وسِباعُ الطير التي تصيد، ومنه قول الشاعر:

عَقابينُ يومَ الدَّجْنِ
تَعْلُو وتَسْفُلُ .

(٧) الدَّجْنُ: الظَّلامُ الدَّامسُ، وإلْبَاسُ الغَيْمِ الأرضَ وأقْطارَ السماء .

(٨) انفردت الذخيرة بإيراد البيت ، ولم يرد في الحلة التي اقتصرت على ستة أبيات ليس من بينها هذا البيت.

- الماءُ القَرَاحُ: البَارِد .

٦- تَظُنُّكَ[١] طَالِعاً بِبَنِي[٢] سُلَيْمٍ عَلَيْهَا عِنْدَ مُفْتَضَحِ الصَّبَاحِ

٧- إِذَا سَاوَرْتَ[٣] قِرْنَكَ[٤] فِي مَكَرٍّ جَعَلْتَ لَهُ ذِرَاعَكَ كَالوِشَاحِ[٥]

فما انتفع بعلي بن وداعة، ولا كانت له فيه شفاعة

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١ / ٥٤ ، الحلة السيراء لابن الأبار – تح د: حسين مؤنس – دار المعارف القاهرة – ط٢/ ١٩٨٥ – جـ١/ ٢٨٢، ٢٨٣، ولم يرد فيها البيت الخامس.

❁ ❁ ❁

- ١٣ -

قَالَ صَاعِدُ بن الحَسَن: وَنُلْقِي لَهُوَنَا معَ الدِّلاءِ، ولِلْمُرْتَادِ رِزْقُه، ولِلناقِدِ اخْتِيَارُه، لُمْتُ في مولانَا المَنْصُورِ أَيَّدَهُ اللهُ في قَصِيدَةٍ أَوَّلها: (رمل)

١- قَدْ وَجَدْنَا الدَّمْعَ أَشْفَى لِلْكَمَدْ وَرَأَيْنَا الغَيَّ أَدْنَى لِلرَّشَدْ

٢- ولَّذِي أَعْطَى أَبَا عَامِرٍ الـ ـمُلْكَ وَالدِّينَ ونَصْرَ المُضْطَهَدْ

٣- مَا رَأَتْ عَيْنَايَ شَمْساً قَبْلَهُ طَلَعَتْ في الأُفْقِ مِنْ وَجْهِ أَسَدْ

(١) في الحلة السيراء "نظنك" بدلا من " تظنك " .

(٢) في الحلة السيراء "يبني " بدلا من " ببني " .

(٣) ساوَ فُلاناً: وَاثَبَهُ وقَاتَلَه .

(٤) القِرْنُ: النَّظيرُ والنِّد .

(٥) الوِشَاحُ: السَّيْفُ .

٤- يَجْمَـــعُ الـــدُّنْيَا بِكَفَّـــيْ رَأْيِـــهِ جَمْعَـــكَ الْآفَ فِي عَقْـــدِ لْعَـــدَدْ

٥- يَسْـــأَلُ لْعَـــافِيَ أَنْ يَسْـــأَلَهُ فَـــإِذَا أَوْلَاهُ مَعْرُوفَـــاً جَحَـــدْ

التخريج:

الفصوص ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩.

- ١٤ -

❁ قال صاعد البغدادي في الوَرْدِ: (بسيط)

١- لِيَصْـرِفَنْ قَائِـدُ الْمُثْـورِ عَسْـكَرَهُ وَيَنْهَـزِمْ إِنَّ جَـيْشَ الْـوَرْدِ قَـدْ وَدَا

٢- فِي مَعْرِضٍ سَجَدَ الرَّوْضُ الأنِيقُ لَهُ وَلَـوْ أَتَـاهُ فَتِيـتُ الْمِسْـكِ مَـا سَـجَدَا

٣- شَـبَّهْتُهُ وَسَـقِيطُ الطَّـلِّ تَحْـدُرُهُ[1] عَنْـهُ الرِّيَـاحُ وَقَـدْ مَـدَّتْ لِمَـهِ يَـدَا

٤- بِخَـدِّذِي خَجَـلٍ أَبْكَتْـهُ خَجْلَتُـهُ حَتَّـى تَفَـرَّقَ فِيـهِ دَمْعُـهُ بَـدَدَا

٥- فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ يُشْنَى[2] الصَّبُوحُ[3] وفِي أَيَّامِـهِ فَلْـيَكُنْ غَـيُّ الْهَـوَى رَشَـدَا

التخريج:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ٢٠.

❁ ❁ ❁

(١) حَدَر بالشَّيْء يَحْدُرُه ويَحْدِرُه حَدْراً: حَطَّه مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْلٍ .

(٢) الشَّيْن: ضِدّ الزَّيْن،يُقَالُ:شَانَه يَشِينُه شَيْناً.

(٣) الصَّبُوحُ: الخَمْرُ،وقِيلَ:الصَّبُوحُ: مَا شُرِبَ بِالْغَدَاةِ فَمَا دون القَائلَة .

- ١٥ -

❁وقال صاعد بن الحسن اللغوي (باب في الحرب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتوح): (طويل)

١- فَضَحَّيتَ مِنْهُمْ بالرِّجَالِ وَأَقْبَلَتْ سَبَايَاهُمُ مِثْلَ الجَرَادِ البُدَّدِ

٢- حِسَانَ الخُدُوشِ[١] فِي الخُدُودِ كَأَنَّهَا وَشَائِعُ[٢] قُشٍ فِي نَسِيجٍ مُعَمَّدِ[٣]

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ٢٠٧ مقطوعة رقم ٤٥٦ (باب في الحرب ووصف الطعان والضراب والجيوش والفتوح).

- ١٦ -

❁ ودخل صاعد اللغوي يوماً على المنصور وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلقت رجله فسقط في الماء، فضحك المنصور وأخرج، وقد كان البرد يقضي عليه، فلما نظر إليه أمر له بثياب وأدنى مجلسه، وقال يا أبا العلاء قل في سقطتك، فأطرق ثم قال: (كامل)

١- شَيْئَانِ كَانَا فِي الزَّمَانِ عَجِيبَةً ضَرْطُ ابْنِ وَهْبٍ ثُمَّ سَقْطَةُ صَاعِدِ

(١) الخُدُوشُ: كلُّ أَثَرٍ من خَدْشٍ أَو عَضٍّ / والخَدْشُ والخَمْشُ يكون بالأَظافرِ ..

(٢) الوَشِيعَةُ: خشَبةٌ أَو قصَبةٌ يُلَفُّ عليها الغَزْلُ، وقيل قصبةٌ يَجْعلُ فيها الحائِكُ لُحْمةَ الثوبِ للنجْ والتزيين، وقيل هي قصبة يُلْوى عليها الغزْلُ من أَلوانٍ شَتى من الوَشْيِ وغيرِ أَلوانِ الوشي .

(٣) خُشُبٌ طوالٌ منْصُوبةٌ، ومنه خِباءٌ مُعَمَّدٌ كمُعَظَّمٍ: مَنْصوبٌ بالعِمادِ .

فاستبرد ما أتى به، فقال أبو مروان الكاتب الجزيري[1]: هلا قلت: (متقارب)

١- سُـــرُورِي بِغُرّتِـــكَ المُشْـــرِقَهْ وَدِيمَـــــةِ رَاحَتِـــــكَ المُغْدِقَـــــهْ

٢- ثَنَـــانِيَ نَشْـــوَانَ حَتَّـــى هَوَيـــْ ـــــتُ فِي لُجَّـــةِ البِرِّكَـــةِ المُطْبِقَـــهْ

٣- لَـئِنْ ظَـلّ عَبْـدُكَ فِيهَـا الْغَرِيـقَ فَجُـــودُكَ مِـــنْ قَبْـــلِ ذَا أَغْرَقَـــهْ

فقال له المنصور:لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك؟.

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥، ٣٦، و المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٢٢، بدائع البدائه ٢٠١، ونفح الطيب ٣ / ٩٥.

❁ ❁ ❁

- ١٧ -

❁ قال صاعد البغدادي يهنئ المنصور بن أبي عامر بنصر وفتح[2]: (كامل)

(١) أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري، عالم، أديب، شاعر، من وزراء الدولة العامرية له رسائل وأشعار كثيرة مدونة، مات قبل الأربع مائة بمدة مقتولا بتدبير الوزير عيسى بن سعيد القطاع في سنة٣٩٤ هـ. انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٧ وما بعدها، والمغرب في حلى المغرب ١ / ٣٢٢، نفح الطيب ٤/ ٦٦ .

(٢) في سنة ٣٩٠ هـ سار المنصور إلى أراضي قشتالة في جيش ضخم، وذلك أن الملوك والأمراء والنصارى "من حيز بنبلونة إلى أسترقة "،اتفقوا جميعاً بزعامة سانشو غرسية كونت قشتالة،على مقاومة المنصور، وحشد سائر أمراء البشكنس وقشتالة وليون قواتهم، وجمع سانشو غرسية سائر قواته في وسط قشتالة، في وادي دويرة الأدنى خلف الحاجز الجبلى الوعر المسمى"صخرةجربيرة " وتعاهد الملوك والأمراءالنصارى على الثبات وعدم الفرار، وقد أبلى المنصور العامري بلاء حسنا على عادته، وثبتت معه فئة ؛ فكان النصر حليف المسلمين . انظر في تفاصيل الغزوة: دولة الإسلام=

١- جَـدَّدْتُ شُـكْرِي لِلْهَـوَى الْمُجَـدِّدِ وَعَهِـدْتُ عِنْـدَكَ مِنْـهُ مَـا لَمْ يُعْهَـدِ

٢- اليَـوْمَ عَـاشَ الـدِّينُ وَابْتَـدَأَ الهُـدَى غَضّـاً[١] وَعَـادَ الْمُلْـكُ عَـذْبَ الْمَـوْرِدِ

٣- وَوَقَفْـتُ فِي ثَـانِي حُنَـيْنٍ وَقْفَـةً فَرَأَيْـتُ صُـنْعَ اللهِ يُؤْخَـذُ بِاليَـدِ

٤- مَـنْ فَاتَـهُ بَـدْرٌ وَأَدْرَكَ عُمْـرُهُ جَـرْبِيرَ[٢] فَهْـوَ مِـنَ الرَّعِيـلِ الْأَسْـعَدِ

٥- فَـوَدِدْتُ لَـوْ حَـتَمَ الْقَضَـاءُ بِـأَنَّنِي فِي الْقَـوْمِ أَوَّلُ طَـالِعٍ مُسْتَشْـهَدِ

٦- مَـا أَسْـتَكِينُ لِرَوْعَـةٍ[٣] وَمُحَمَّـدٌ وَبَنُـوهُ أَنْصَـارُ النَّبِـيِّ مُحَمَّـدِ

٧- عَهْـدِي بِـهِ واللهُ يُظْـرُ صَـبْرَهُ وَالْمَوْتُ بَيْنَ مُصَوَّبٍ[٤] وَمُصَعَّدِ[٥]

٨- غَطَّـى عَلَيْـهِ الْمُشْرِكُونَ فَلَـمْ يَكُـنْ فِي الْقَـوْمِ إِلَّا صَـخْرَةً فِي فَدْفَـدِ[٦]

٩- حَتَّـى تَحَصَّـنَ بِالْمَلَائِكَـةِ الَّتِـي حَفَّتْـهُ بَـيْنَ مُعَفَّـرٍ وَمُـرَدَّدِ

١٠- حَمَلَـتْ مَيَـامِنُهُمْ عَلَيْـكَ نَشِـيجَةً[٧] كَالسَّيْلِ يَحْطِمُ جَلْمَـدا[٨] عَـنْ جَلْمَـدِ

=في الأندلس لمحمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي، والمدني القاهرة ط٤/ -١٩٩٧م - جـ١/ ٥٦٢،٥٦٣ .

(١) الغَضُّ: الطَّرِيُّ من كُلِّ شَيْءٍ.

(٢) جَرْبِير: مدينةٌ أندلُسِيَّةٍ تقَعُ في وسَطِ مدِينةِ قِشْتالَة .

(٣) الرَّوْعة: الفَزْعة، وَهِي المَرَّةُ الواحدةُ من الرَّوْع: الفزَع .

(٤) الصَّوْبُ: المَجيءُ من مَكَان عَلٍ، وكُلُّ نَازِلٍ من عُلُوَ إِلَى استِفَال .

(٥) مُصَعَّدٌ: مُرتفعٌ مُنْتَصِبٌ.

(٦) الفَدْفَدُ: الفَلاةُ الْتي لَا شيْءَ بهَا، وَقيل: هِيَ الأَرض الغَليظة ذَات الحَصَى.

(٧) النَّشِيجُةُ: الصَّوْتُ لهُ رنَّةٌ ودَوِيّ .

(٨) الجَلْمَدُ: الصَّخْر .

١١- وَرَأَوْكَ فَارْتَـدُّوا عَـلَى أَعْقَـابِهِمْ مِثْـلَ ارْتِـدَادِ تَـنَفُّسِ الْمُنَهِّـدِ[١]

١٢- وَرَكِبْـتَ فَلَّهُـمُ[٢] بِكُـلِّ مُهَنَّـدٍ[٣] يَقْضِـي بِـهِ فِي الـرَّوْعِ كُـلُّ مُهَنَّـدِ

١٣- مَـا نَـاجَزُوكَ وَفِي الْجَـوَانِحِ مَوْضِـعٌ لِتَصَـبُّرٍ وَمَكَانَـةٌ لِتَجَلُّـدِ

١٤- طَـالَ الشَّـقَاءُ عَلَـيْهِمُ وَتَبَرَّمُـوا بِـالْجَيْشِ فِي الـذُّلِّ الْمُقِـيمِ الْمُقْعِـدِ

١٥- فَتَحَـالَفُوا لِمُحَنَّـثٍ[٤] وَتَجَمَّعُـوا لِمُفَـرَّقٍ وَتَـأَلَّفُوا لِمُـبَدَّدِ

التخريج:

أعمال الأعلام لابن الخطيب–صـ ٧٢، ٧٣.

❁ ❁ ❁

- ١٨ -

❁ وذَكَرتْ الشعراء قتل عيسى بن سعيد[٥]، ورفعتْ أشعَارًا إلىالحَاجِب عبد الملك مُهنِّئة بالصنْع فيه، فأكْثَرتْ على عادتها، فمن ذلك قول صاعد البغدادي من قصيد: (بسيط)

(١) تَنَهَّدَ: تَنَفَّسَ الصّعداء .

(٢) الفَلُّ: الْقَوْمُ المنْهَزِمُون .

(٣) المُهَنَّدُ: السَّيْفُ المَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ .

(٤) المُحَنَّث: مَوَاقِعُ الحِنْثِ أي الإِثْمِ، وقيلَ: الكَاذِبُ المخَادِع .

(٥) عيسى بن سعيد القطاع كان من كتاب المنصور، و أنصاره، ومعاونيه منذ أيام الحكم، وقد استأثر بتدبير الأمور منذ بداية عهد عبد الملك بن المنصور، وجمع الأموال الطائلة، وزاد في توطد سلطانه ونفوذه مصاهرته للحاجب عبد الملك، ألا أنه كانت تحدوه أطماع، فقتله عبد الملك في سنة ٣٩٧ هـ.انظر الذخيرة ق٤مج١/ ٥٠ وما بعدها، والمغرب ١/ ٢١٣، إعتاب الكتاب لابن الأبار١/ ١٩٧.

١- يَا مَنْ أَعَادَ لَنَا مِنْ عَدْلِهِ عُمَرا حَتَّى جَبْنَاهُ مِنْ مَلْحُودِهِ نُشِرَا

ومنها:

٢- فَتِلْكَ هَامَتُهُ فِي الجَوِّ نَاطِقَةٌ تُحَدِّثُ النَّاسَ مِنْ آيَاتِهَا عِبَرَا

٣- مَكْتُوبَةُ الْوَجْهِ بِالْهِنْدِيِّ يَقْرَؤُهُ مَنْ لَيْسَ يَقْرَأُ مَكْتُوباً وَلَا سَطَرَا

التخريج:

- انفرد بإيراد البيت الأول "مطلع القصيدة " المراكشي في البيان المغرب ٣ / ٣٥، وأردف البيت بقوله: وهي طويلة، ولم يذكر غيره.
- انفرد بإيراد البيتين الثاني والثالث دون الأول ابن بسام في الذخيرة ق١مج١/ ١٢٨ ومهَّد لهما بقوله:

وكان أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي منقطعاً إلى عيسى بن سعيد، فكان أول من أنشد عبد الملك، على سبيله من سرعة الانقلاب، شعراً يقول فيه:

❁ ❁ ❁

- ١٩ -

❁ كان صاعدُ البغْدَادي شديدَ البديهةِ في ادِّعَاء البَاطِلِ[1]، قال له المنصورُ بن أبي عامِر يوماً: ما الخنبشَارُ؟ فقال: حشيشَةٌ يُعْقَدُ بها اللبنُ ببادِيةِ الأعْرَابِ، وفي ذلك يقولُ شَاعِرُهم: (وافر)

(١) البيت لصاعد نظمه على البديهة استشهادا على تفسيره لكلمة "الخنبشار" التي لا أصل لها، وكثيرا ما كان يفعل ذلك. انظر في أباطيله على هذه الشاكلة: الذخيرة ق٤ج١/ ٣٢ وما بعدها، والنفح ٣/ ٨١، ٨٢. =

١ - لَقَـدْ عُقِـدَتْ مَحَبَّتُهَـا بِقَلْبِـي كَـمَا عُقِـدَ الحَلِيـبُ بِخِنْبِشَـارِ

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٣٢، ٣٣ ، نفح الطيب ٣/ ٨١ .

❁ ❁ ❁

- ٢٠ -

❁وأُنشِدَ المنصورُ يوماً قصيدةَ أبي نُوَاس " أَجَارَةَ بَيْنَيْا أَبُوكِ غَيُورُ " فعرض المنصورُ على صاعدٍ أنْ يُعارضَه، فأبى صاعدٌ من ذلك إجلالاً لأبي نُوَاس، فعزمَ عليه المنصورُ، فأنشدَهُ مُتَمَثِّلاً: (مجزوء الكامل)

=- ومن ذلك ما روي أنه دخل يوما على المنصور وبيده كتاب ورد عليه من عامل له أسمه ميدمان بن يزيد من أهل يابرة، يذكر فيه القلب والتزبيل وما عندهم من معانة الأرض قبل زرعها، فقال له: يا أبا العلاء، وقع إلي من الكتب كتاب القوالب والزوالب لميدمان بن يزيد قال: نعم رأيته في نسخة أبي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل، في جوانبها علامات الوضاع . فقال له: أما تستحي من هذا الكذب! هذا كتاب عاملنا ببلد يابرة، يعلم بالذي تقدم ذكره من صفة الأرض، وإنما صنعت هذه تجربة لك. فجعل يحلف أنه ما كذب وأنه أمر وافق. انظر في ذلك وأمثاله الذخيرة ق٤ج١/ ٣٢، ومنه كذلك ما روي من أن صاعدا حضر مجلس الموفق مجاهد العامري، وكان في المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموفق: دعني أعبث بصاعد، فقال له: لا تتعرض إليه، فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مساءلته، وكان بشار أعمى، فقال لصاعد: يا أبا العلاء ما الجرنفل في كلام العرب فعرف صاعد أنه وضع هذه الكلمة، وليس لها أصل في اللغة، فقال بعد أن أطرق ساعة: الجرنفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن إلى غيرهن، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني، فخجل بشار،وانكسر،وضحك من كان حاضراً، فقال له الموفق: قلت لك لا تفعل فلم تقبل. انظر نفح الطيب ٣/ ٨٤ .

١- إِنِّيلُمْـــــــتَحْيٍ عُـــــــلا كَ مِـــن ارْتِجَـــالِ لْقَـــوْلِ فِيـــهِ

٢- مَـــنْ لَـــيْسَ يُـــدْرَكُ بِالرَّوِيَّـــ ـــــةِ كَيْـــفَ يُـــدْرَكُ بِالبَدِيـــهِ

فلم ينفعْهُ ذلك عنده، ومكثَ فيه بقيَّةَ يومِهِ وليلَتِه. وجاءَهُ من الغد فأنشدَهُ قصيدتَهُ التي أولها: (طويل)

١- خِـدَالَ[١] الْـبُرَى[٢] إِنِّي بِكُـنَّ بَصِـيرُ طَـوَتْكُنَّ عَنِّـي خُلْسَـةٌ[٣] وَقَتِـيرُ[٤]

ومنها

٢- وَبَاتَـتْ كَـمَا بَاتَـتْ مَهَـاةٌ[٥] خَمِيلَـةٍ لها جـؤْذَرٌ[٦] عِنـدَ الصـرَاةِ[٧]عَقِـير

٣- وقَـــدْ أُكِلَـــتْ أَشْـــلاؤُهُ[٨] فَكَأَنَّهَـــا مُقَسَّـــمَةٌ عِنْـــدَ الْقِـــدَاحِ جَـــزُورُ[٩]

(١) الخَدْلُ: المُمْتَلِئُ،والخَدِلَةُ: المرأةُ الغَليظَةُ الساقِ، أو مُمْتَلِئَةُ الأَعْضَاءِ لَحْماً في دِقَّةِ عِظامٍ،والجمعُ: خِدالٌ .

(٢) البُرَةُ: الخَلْخالُ، والجمع بُراتٌ و بُرىً .

(٣) الخَلْسُ: السَّلْبُ والأَخْذُ في نُهْزَةٍ ومُخَاتَلَةٍ .،والاسْمُ منه: الخُلْسَةُ، بالضَّمِّ، وهي النُّهْزَةُ .

(٤) القَتِيرُ: الشَّيْبُ، أَوْ أَولُه . وأَصْلُ القَتِير رُؤُوسُ مَسَامِير حَلَقِ الدُّرُوعِ، شَبَّهَ به الشَّيْبَ إِذا ثَقَّبَ في سَوَادِ الشَّعرِ.

(٥) المَهاةُ: البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ،وهي في الأصلِ: البَلَّوْرَةُ، وتشبه المرأَةُ بالمَهاةِ في البَياضِ فإنَّما أَرادُوا صَفاءَ لَوْنها، فإذا شُبِّهَتْ بها في العَيْنَيْن فإنَّما تَعْني البَقَرَة في حُسْنِ عَيْنَيْها .

(٦) الجُؤْذُرُ والجُؤذَرُ: ولد البقرة وفي الصحاح البقرة الوحشية والجمع جآذِرُ .

(٧) المُصَرّاة: هي الناقةُ أَو البَقرة أَو الشاة يُصَرَّى اللبنُ في ضَرْعِها أَي يُجْمَعُ ويُحْبَسُ أياماً .

(٨) أَشْلاءُ الشيءِ: أَعْضاؤه بعْدَ البِلَى والتفَرُّقِ، وقيل: وكلُّ مَسْلوخٍ أُكِلَ منه شيءٌ وبَقِيَ شَيء .

(٩) الجَزُورُ: البعير المَذْبُوحُ،وقيل الجزْرُ خاصٌ بالناقة المجزورة .

٤- كَـمَاغَمَـتْ[١] مِـنْ شَـجْوِهَا أُمُّ وَاحـدٍ أُتِـيحَ لَهَـا مِثْـلُ الزُّجَـاجِ طَرِيـرُ[٢]

٥- لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى صَغَتْ[٣] شَـمْسُ يَوْمِهَا وفِي أَبْهَرَيْهَـا[٤] رَنَّـةٌ[٥] وَزَفِـيرُ[٦]

٦- تَسُـوفُ ثَـرَاهُ عَـنْ مَشَـقٍّ إِهَابِـهِ[٧] كَـأَنَّ أَسَـابِيَّ[٨] الـدِّمَاءِ عَتِـيرُ[٩]

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ق٤ مج١/ ٢٢، ٢٣.

---

(١) بَغُمتْ الظَّبْيةُ: أي صاحتْ إلى ولَدها بأَرْخَم ما يكون من صوْتها، وبُغامُ الناقة صَوْتٌ لا تُفْصِح به، وقيل هو الصوتُ الضَّعيفُ المُتَقَطِّع .

(٢) الطَّرُّ: سنُّ السِّكِّينِ وحدُّها،وطَرَّ الحَدِيدَةَ يَطُرُّهَا: أَحَدَّها، والطرير المسنونُ الصَّقيل .

(٣) صغَتْ: مَالتْ .

(٤) الأَبْهَرُ: عِرْقٌ في الظَّهر،ويقالُ: هو وَرِيدُ العُنُق، وبعضُهم يَجعلُه عِرْقاً مُسْتَبْطِنَ الصُّلْبِ والقَلْبِ، فإذا انقطعَ لم تكنْ معه حَياةٌ وقالوا: الأَبْهَرُ عِرْقٌ مَنْشَؤُه مِن الرَّأْس، ويَمْتَدُّ إِلى القَدمِ، وله شَرايِينُ تتَّصِلُ بأَكثرِ الأَطرافِ والبَدَنِ.

(٥) الرَّنَّةُ: الصَّيْحَةُ الحَزِينةُ، والرَّنِينُ الصياح عند البكاء .

(٦) الزَّفِير: هو إِخراجُ النَّفَسِ مع صوتٍ مَمْدُود،والزَّفْر: أَن يَملأَ الرَّجلُ صَدْرَه غَمًّا ثمّ هو يَزْفِرُ به، وأَصْلُ الزَّفِير تَرديدُ النَّفَسِ حتَّى تَنْتَفِخ منه الضُّلوعُ .

(٧) الإِهابُ: الجِلْد من البَقَر والغنم والوحش ما لم يُدْبَغْ .

(٨) الإِسْباءَةُ: الطَّرِيقةُ من الدَّمِ، والأَسابيُّ الطُّرق من الدَّمِ، وأَسَابيُّ الدماء طَرائِقُها .

(٩) العَتِيرَةُ: أَوَّلُ ما يُنْتجُ ، وقيل: كلُّ ما ذُبحَ ،وقيل:هي شاةٌ كانوا يَذْبَحُونها لآلِهَتِهِم كالعَتِيرَةِ .

- ٢١ -

❁ قال صاعد البغدادي في البنفسج[١]: (كامل)

١ - سُــقْياً لأَيَّــامِ البَنَفْسَــجِ إنَّهَــا لَــو أُنْصِــفَتْ لَمْ تَقْــتَرِنْ بِنَظِــيرِ

٢ - طَالَــتْ وِلايَتُــهُ وطَــابَ نَسِــيمُهُ وَزَكَــا عــلى المِسْــورِ والمِيْسُــورِ

٣ - يُزْرِي[٢] إذَا احْتَسَت لَمَعَاطِسُ[٣] رِيحَهُ بِنَسِــيمِ غَالِيَــةٍ و فَــوْحِ عَبِــيرِ

٤ - يَحْكِي قَمِيصَ الفَجْرِ لَوْنُ أَدِيمِهِ[٤] والقَرْصَ[٥] في خَدِّ المِلاحِ الحُورِ

٥ - إنِّي لأَشْــكُرُ صَــبْوَةً وَوَفَــاءُ شُكْرِي لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ المَنْصُورِ

التخريج:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ١٩، ٢٠.

❁ ❁ ❁

- ٢٢ -

❁ قال صاعد البغدادي في الخَيْرِيِّ[٦]: (خفيف)

١ - قَــدْ نَعِمْنَــا في دَوْلَــةِ المَنْثُــورِ وَوَصَــلْنَا صَــغِيرَنَا بِــالكَبِيرِ

---

(١) الْبَنَفْسَجُ وِزَانُ سَفَرْجَلٍ مُعَرَّبٌ: نَبَاتٌ زَهرِيٌّ يُزْرَعُ للزِّينَةِ،ولزهُورِهِ عِطْرٌ ورَائِحَة.

(٢) يُقَالُ: أَزْيْتَ بِهِ إذا قَصَّرْتَ بِهِ وتَهاوَنْتَ. وازْدَرَيْته أَي حَقَّرته .

(٣) المَعْطِس والمَعْطَس: الأَنف لأَن العُطاسَ مِنْهُ يَخْرُجُ، والمَعَاطِسُ هِيَ الأُنُوفُ.

(٤) الأَدِيمُ: الجِلْدُ مَا كانَ، أَو أَحْمَرُهُ ومَدْبُوغُهُ، وَقيل: هُوَ إذا تَمَّ دَبْغُه واحْمَرَّ.

(٥) القَرْصُ: القَبْضُ عَلى الجِلْد بالإِصْبَعَيْن حَتَّى يُؤلِمَ.

(٦) الخَيْرِيُّ: فِرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ وهو المَنْثُورُ،وهو صِنْفَانِ وَأَفْضَلُهُ الأَصْفَرُ الزَّهْرِ، وأَمَّا الأَبْيَضُ فَضعِيفٌ لكَثْرَةِ مَائِه.

٢- وَسَـأَلْنَاهُ لِمَ تَضَـوَّعْتَ[١] لَـلاً قَـالَ: فَتْـكُ الشُّـجْعَانِ بِالـدَّيْجُورِ[٢]

٣- وَقَرَنَّـا احْمِـرَارَهُ بِاصْـفِرَارٍ فَعَجِبْنَـا مِـنْطُـفِ صُـنْعِ القَـدِيرِ

٤- مَـا عَلِمْنَـا اليَـاقُوتَ لِلشَّـمِّ حَتَّـى نَفَحَتْنَـا رَوَائِـحُ مُنْثُـورِ

٥- حَاجِـبَ المُلْـكِ لا عَـدَاكَ بَشِـيرٌ بِقُـوحٍ أَوْ قَـادِمٌ بِسُـرُورِ

التخريج:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ٢٠.

❁ ❁ ❁

- ٢٣ -

❁ ومن أعجب ما جرى له أنه كان بين يدي المنصور، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها، فقال فيها صاعد مرتجلا: (متقارب)

١- أَتَتْـكَ أَبَـا عَـامِرٍ وَرْدَةٌ يُـذَكِّرُكَ[٣] المِسْـكُ أَنْفَاسَـهَا

٢- كَعَـذْرَاءَ أَبْصَـرَهَا مُبْصِـرٌ غَطَّـتْ بِأَكْمَامِهَـا رَاسَـهَا

(١) التَّضَوَّعَ: ما فَاحَ وانْتَشَرَ مِنَ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ مِنَ الْمِسْكِ وَغَيْرِهِ.

(٢) الدَّيْجُورُ: الظَّلامُ، ووَصَفوا بِهِ فَقَالُوا: لَيْلٌ دَيْجُورٌ، ولَيلةٌ دَيْجُورٌ أي مُظْلِمَة.

(٣) في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والوافي بالوفيات، وبغية الوعاة، ومعاهد التنصيص، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة " يُحَاكِي لَكَ " بدلا من " يُذَكِّرُكَ " .

فسر بذلك المنصور بن أبي عامر، وكان ابن العريف[1] حاضرا، فحسده، وجرى إلى مناقضته وقال لابن أبي عامر: إن هذين البيتين لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه. فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف، وركب وجعل يحث دابته حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن أهل وقته بديهة، فوصف ما جرى له، فقال هذه الأبيات، ودس فيها بيتي صاعد: (متقارب)

١ - عَشَوْتُ[2] إلى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَّلَ النَّومُ حُرَّاسَهَا

٢ - فَأَفْنَيْتُهَا وَهيَ فِي خِدْرِهَا وَقَدْ صَرَع [3]السُّكْرُ أُنَّاسَهَا

٣ - فَقَالَتْ: أَسَارٍ[4] على هَجْعَةٍ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَرَمَتْ كَاسَهَا

٤ - وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ[5] يُحَاكِي لَكَ الْطِّيبُ[6] أَنْفَاسَهَا

(١) هو أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف النحوي المغربي، إمام في العربية، أستاذ في الآداب، مقدم في الشعر، له في الأدب مؤلفات، كان في أيام المنصور بن أبي عامر، وممن يحضر مجالسه ويخف عليه، واجتماعاته مع أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي مشهورة. خرج إِلَى مصر فِي أَوَاخِر عمره وَأس فِيهَا وَتُوفِّي سنة سبع وَسِتِّينَ وثلاثمائة . انظر: جذوة المقتبس ١٩٤، الوافي بالوفيات ١٢ / ١٨٤، بغية الوعاة ١/ ٥٤٢،

(٢) انفرد معجم الأدباء بـ " غدوتُ " بدلا من " عَشَوْتُ " .

(٣) في معجم الأدباء، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة " صَدَعَ " بدلا من " صَرَع "

(٤) في معجم الأدباء، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة " أَسِرْتَ " بدلا من " أَسَارٍ "

(٥) في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والوافي بالوفيات، ومعاهد التنصيص، والبلغة في تراجم ائمة النحو و اللغة " ومدَّت إِلَى وردةٍ كَفَّها" بدلا من " وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ " .

(٦) في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، وبدائع البدائه، والوافي بالوفيات، ومعاهد التنصيص، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة " المِسْكُ " بدلا من " الطِّيبُ " .

٥- كَعَـــذْرَاءَ أَبْصَـــرَهَا مُبْصِـــرٌ غَطَّـــتْ بِأَكْمَامِهَـــا رَاسَـــهَا

٦- وَقَلَـتْ خَـفِ اللهَ لا تَفْضَـحَنَّ فِي ابْنَـــةِ عَمِّـــكَ عَبَّاسَـــهَا

٧- فَوَلَّـتُ عَنْهَـا عَـلَى عِفَّـةٍ[١] وَ مَـا خُنْـتُ نَـاسِي وَلا نَاسَـهَا

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد أشقر، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين: غدا أمتحنه فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان، فلما أصبح وجه إليه، فأحضر وأحضر جميع الندماء، فدخل بهم إلى مجلس محفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه السقائف مصنوعة من جميع النواوير، ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري، وتحت السقائف بركة ماء قد ألقي فيها اللآلئ مثل الحصباء، وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا، وإما أن تشقى بالضد عندنا؛ لأنه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى، وقد وقفت من ذلك على حقيقة، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، وعبر بعض عن هذه القصة بقوله: أمر فعبئ له طبق فيه أزهار ورياحين وياسمين وبركة ماء حصباؤها اللؤلؤ، وكان في البركة حية تسبح، وأحضرها صاعد فلما شاهد ذلك قال له المنصور إن هؤلاء يذكرون أن كل ما تأتي به دعوى لا صحة لها، وهذا طبق ما ظننت أنه عمل لملك مثله، فإن وصفته بجميع ما فيه علمت صحة ما تذكره، فقال صاعد بديهة: (طويل)

---

(١) في جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والوافي بالوفيات، ومعاهد التنصيص، والبلغة في تراجم ائمة النحو واللغة، ونفح الطيب " غَفْلَة " بدلا من " غِفَّة "، - وانفردت رواية معجم الأدباء بـ " خَجْلَة " بدلا من " غِفَّةٍ "، - ووافق علي بن ظافر في بدائع البدائه ابن بسام في روايته " غِفَّةٍ " .

١ - أَبَا عَامِرٍ هَلْ غَيْرُ جَدْوَاكَ وَاكِفُ[١] وَهَلْ غَيْرُ مَنْ عَادَاكَ فِي الأَرْضِ خَائِفُ

٢ - يَسُوقُ إِلَيْكَ الدَّهْرُ كُلَّ غَرِيبَةٍ[٢] وَأَعْجَبُ مَا يَقْضَاهُ عِنْدَكَ وَاصِفُ

٣ - وَشَائِعُ[٣] نَوْرٍ صَاغَهَا هَامِرُ الْحَيَا عَلَيْهَا فَمِنْهَا[٤] عَبْقَرٌ[٥] وَرَفَارِفُ

٤ - وَلَمَّا تَنَاهَى الْحُسْنُ فِيهَا قَلَّبَتْ عَلَيْهَا بِأَنْوَاعِ الْمَلاهِي الْوَصَائِفُ

٥ - كَمِثْلِ لِطَّاءِ الْمُسْتَكِنَّةِ كُنَّساً[٦] تُظَلِّلُهَا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفُ[٧]

٦ - وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُنَّ نَوَاظِرٌ إِلَى بِرْكَةٍ ضَمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ[٨]

٧ - حَصَاهَا اللآلِي سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا مِن الرُّقْشِ مَسْمُومُ اللُّعَابَيْنِ[٩] زَاحِفُ[١٠]

٨ - تَرَى مَا تَشَاءُ[١١] الْعَيْنُ فِي جَنَبَاتِهَا مِنَ الْوَحْشِ حَتَّى بَيْنَهُنَّ السَّلَاحِفُ

---

(١) الواكِفُ: المطَرُ المُنْهلُّ .

(٢) في بدائع البدائه ، ونفح الطيب " عَجِيبَة " بدلا من " غَرِيبَةٍ " .

(٣) الوَشِيعُ: سَقْفُ البَيْتِ،والجَمْعُ وَشائِعُ.

(٤) في معجم الأدباء، ونفح الطيب " على حَافتيهاَ " بدلا من " عَلَيْهَا فَمِنْهَا " .

(٥) العَبْقَرُ : موضعٌ تزعم العرب أنه من أرض الجنّ ثم نسبوا إليه كل شئ تعجَّبوا من حِذقه أو جودة صنعته وقوته، وقيل: هو هذه البُسُطُ التي فيهَا الأصْبَاغُ والنُّقُوش .

(٦) الكُنَّسُ:الظِّباء، وَالْبَقَرُ تَكْنِس أَي تسْتَتِرُ وتَدْخُلُ فِي كُنُسِها إِذا اشتدَّ الحرُّ.

(٧) سقط البيت من رواية بدائع البدائه .

(٨) في معجم الأدباء، ونفح الطيب " الطَّرائِفُ " " بدلا من " الظَّرَائِفُ " .

(٩) في معجم الأدباء، ونفح الطيب " الثَّعَابِين " " بدلا من " اللُّعَابَيْنِ " .

(١٠) انفردت رواية بدائع البدائه بـ " رَاجِفُ " بدلا من " زَاحِفُ " .

(١١) في معجم الأدباء، ونفح الطيب "ما تَرَاهُ " " بدلا من " مَا تَشَاءُ " .

فاستغربت لـه يومئـذ تلـك البديهـة في مثـل ذلـك الموضـع، وكتبهـا المنصـور بخطـه، وكـان إلى ناحيتـه مـن تلـك السـقائف سـفينة فيهـا جاريـة مـن النـوار تجـذف بمجـاذيف مـن ذهـب لم يرهـا صـاعد، فقـال لـه المنصـور: أحسـنت إلا أنـك أغفلـت ذكر المركب والجارية فقال: (طويل)

١- وَأَعْجَـبُ مِنْهَـا غَـادَةٌ فِي سَـفِينَةٍ مُكَلَّـةٌ تَصْـبُو إِلَيْهَـا المَهَـايِفُ[١]

٢- إِذَا رَاعَهَـا مَـوْجٌ مِـنَ المَـاءِ تَتَّقِـي بِسُـكَّانِهَا مَـا أَنْذَرَتْـهُ[٢] العَوَاصِـفُ[٣]

٣- مَتَـى كَانَـتِ الْحُسْـنَاءُ رُبَّـانَ مَرْكَـبٍ تُصَـرَّفُ فِي يُمْنَـى يَـدَيْهَا[٤] المَجَـاذِفُ

٤- وَلَمْ[٥] تَـرَ عَيْنِـي فِي لْـبِلَادِ حَدِيقَـةً تُنَقِّلُهَـا فِي الـرَّاحَتَيْنِ المَنَاصِـفُ[٦]

٥- وَلَا غَرْوَ أَنْ شَاقَتْ[٧] مَعَالِيكَ رَوْضَةٌ زَهَتْهَـا[٨] أَزَاهِـيرُ الرُّبَـى وَالزَّخَـارِفُ[٩]

---

(١) في معجم الأدباء، وبدائع البدائه، ونفح الطيب "المهَاتفُ " " بدلا من " المَهَايِفُ " .

(٢) في معجم الأدباء " مَا هيَّجَتْهُ " بدلا من " أَنْذَرَتْهُ " .

(٣) في بدائع البدائه " الرَّواجِفُ " بدلا من " العَوَاصِفُ " .

(٤) في بدائع البدائة " في الكَفَّيْن منها " بدلا من " في يُمْنَى يَدَيْهَا " .

(٥) في معجم الأدباء، وبدائع البدائه، ونفح الطيب "ولم " " بدلا من " فلم " .

(٦) في معجم الأدباء ، ونفح الطيب "الوَصَائِفُ " " بدلا من " المَنَصِافُ " ، وجاءت رواية ابن ظافر في البدائع للشطر " زهتها أزاهير الربا والزخارف "، والمناصف في رواية الذخيرة تعني الخدم.

(٧) في معجم الأدباء " أَنْشَتْ " بدلا من " شَاقَتْ " .

(٨) في معجم الأدباء، وبدائع البدائه، ونفح الطيب " وَشَتْهَا " بدلا من " زَهْتَهَا " .

(٩) جاءت رواية ابن ظافر في البدائع للشطر " تُقَلِّبُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الوَصَائِفُ " .

٦- فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَوْ رُمْتَ نَقْلَ مُتَالِعٍ وَرَضوَى[١] ذَرَتْها منْ طَاكَ العَوَاصفُ[٢]

٧- إذَا قُلْتَ[٣] قَوْلاً أَوْ بَدَهْتَ[٤] بَدِيهَةً فَكِلْنِي لَهَا[٥] إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب، ما بين غلائل وطيقان وعمائم، وأجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين دينار، وألحق في ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطبني وأبن العريف وأبن التياني وغيرهم.

التخريج:

١ - ورد البيتان: " أَتَتْكَ أَبَا عَامِرٍ وَرةٌ "... في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ١٩٤، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ١٧، ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ١/ ٣٣٠، بدائع البدائه ٦٣ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر ٨٣، معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥، نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري ١١/ ١٨٩، الوافي بالوفيات للصفدي ١٦/ ١٣٣، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ٢/ ٤٠٣، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/ ٥٤٣، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي ١/ ٦٧، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي صـ٢٠، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٣/ ٧٩، شرح مقامات الحريري للشريشي ١/ ١١٩.

(١) مُتَالِعٌ: جبل ببلاد نجد ، و ر ضوى: جبل ضخم من جبال تهامة .

(٢) في معجم الأدباء، ونفح الطيب "نَوَاسِفُ " " بدلا من " العَوَاصِفُ " .

(٣) في بدائع البدائه " رُمْت " بدلا من " قُلْتَ " .

(٤) في بدائع البدائه " أوْ طَلَبْت " بدلا من " أَوْ بَدَهْتَ " .

(٥) في معجم الأدباء، ونفح الطيب "لَهُ " " بدلا من " لَهَا " .

٢- ذُكِرت القصة إلى قوله:

فَوَلَّيْـــتُ عَنْهَـــا عَـــلَى غَفْلَـــةٍ وَ مَـــا خُنْـــتُ نَـــاسِي وَلا نَاسَـــهَا

في: في جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس١٩٤، ١٩٥، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس جـ١/ ٣٣٠، ٣٣١، الوافي بالوفيات للصفدي جـ ١٦/ ١٣٣، ١٣٤ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ٦٧، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب جـ ٣/ ٧٩، البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغةصـ٢٠.

٣- وردت القصة بكاملها في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ١٧- ١٩، بدائع البدائة ١٦٣، ١٦٤، معجم الأدباء ٣/ ١١٦٥- ١١٦٧، نفح الطيب ٣/ ٧٩ – ٨١، شرح مقامات الحريري للشريشي جـ١/ ١١٨ -١٢٠.

❁ ❁ ❁

-٢٤-

❁ قال صاعد البغدادي يفاضل بين البهار والنرجس: (كامل)

١- جُمَـــلُ الفَضِـــيلَةِ لِلْبُهَـــارِ بِسَـــبْقِةِ وَظَالَمَـــا خَلَـــفَ البُهَـــارَ النَّـــرْجِسُ

٢- أَرْبَـــى عَلَيْـــهِ طِيبُـــهُ وَنَسِـــيمُهُ لَكِنَّـــهُ عَـــنْ نَشْـــرِهِ يَتَـــنَفَّسُ

٣- كَالحَاجِـبِ المُمُـونِ شُـبِّهَ فِي العُـلا بِأَبِيـهِ لَكِـنْ فِعْـلَ هَـذَا أَنْفَـسُ

التخريج: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ١٩.

❁ ❁ ❁

-٢٥-

❁ قال صاعد البغدادي: أَنْشَدَنا الفقيهُ أَبُو القَاسِم الدَّارِكي الأصبَهَانيُّ ببغداد للشافِعِي (رحمه الله): (طويل)

١- عَلِيَّ ثِيَابٌ لَوْ يُبَاعُ جَمِيعُهَا بِفِلْسٍ لَكَانَ الْفِلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا

٢- وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ قَاسُ بِمِثْلِهَا جَمِيعُ الْوَرَى كَانَتْ أَجَلَّ وَأَخْطَرَا

ثم قال لي: أَيُمْكِنُ أنْ تَجْمَع البيتين في بيتٍ ؟ قلتُ نعم. قال: كيفَ ؟ فقلتُ:

(طويل)

١- عَلَيَّ ثِيَابٌ فَوْقَ قِيمَتِهَا الفِلْسُ وفِيهِنَّ نفْسٌ دُونَ قِيمَتِهَا الإِنْسُ

التخريج:

انفرد صاعد البغدادي برواية البيت في كتابه الفصوص ٤ / ١٥.

-٢٦-

❁ كان محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي[١]، مفرق الجماعة بقرطبة، ومبتعث تلك الفتنة المبيرة، سبق المعتضد بن عباد[٢] إلى اتخاذ حديقة من رؤوس أعدائه، أيام أكثر له واضح الخصي العامري من إرساله برؤوس الخارجين عليه لأول وقته، وأصلح بهم باب

(١) هو مُحَمَّد بن عبد الْجَبَّار الْمَهْدي من نبهاء الأندلس الطامحين للحكم،كان الحاكم لقرطبة زمن هِشَام الْمُؤَيد، تمكن من الانفراد بها بعد ظفره بعبد الرحمن وَصَلْبِه، تمكن "المستعين " من قتل ابن عبد الجبار بعد حروب طويلة، واسترد قرطبة من يده بعد استعانته بالفرنجة، فَذبحه صبراً سَنَةَ أَرْبَعِ مائَةٍ، وَلَهُ أَرْبَعٌ وثَلاَثُوْنَ سَنَةً . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٤، التكملة لكتاب الصلة ٣ / ٥٠.

(٢) هو المعتضد بن عباد تولى أمر أشبيلية بعد موت أبيه، وكان أعظم ملوك الطوائف في عصره، وأوفرهم عزماً ودهاء، استطاع توسعة مملكته على حساب الممالك الصغيرة المتاخمة له،كان غليظ القلب لا يعرف الرحمة، وكانت له حديقة من رؤوس الخارجين عليه تملأ قلوب البشر ذعراً توفى سنة ٤٦١ هـ.انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٢مج١ / ٢٣-٣٧، الحلة السيراء ٢/ ٣٩ - ٥٢.

مدينته سالم، فغرس منها فوق الخشب المعلية لها بشط النهر حذاء قصره حديقة هول عريضةً طويلة الخطة، جمة عدد الصفوف المسطورة، فأضحت شغلاً للنظارة، وذكرتها شعراؤه مثل قول صاعد من قصيدة أولها: (وافر)

١- جِـلَاءُ الْعَـيْنِ مُبْهِجَـةُ النّفُـوسِ حَـدَائِقُ أَطْعَـتْ ثَمَـرَ الـرُّؤُوسِ

٢- هَنَـاكَ اللهُ مَهْـدِيَّ لَمَسَـاعِي جَنَـى الْهَامَـاتِ مـنْ تِلْـكَ الْغُـرُوسِ

٣- فَلَـمْ أَرَ قَبْلَهَـا وَحْشَـاً جَمِـيلاً كَرِيـهُ رُوَائِـهِ[1] أُنْـسُ الأَنِـيسِ

٤- فَـمَاذَا يَمْـلَأُ الأَسْـمَاعَ مِنْهَـا إِذَا مُلِئَـتْ مِـنَ انْبَـاءِ الطُّـرُوسِ[2]

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٢ مح١ / ٢٧.

❁ ❁ ❁

- ٢٧ -

❁ ولما ظهر للمنصور بن أبي عامر كذب صاعد البغدادي في النقل، وعدم تثبته، رمى كتاب " الفصوص " في النهر، لأنه قيل له: جميع ما فيه لا صحة له، فعمل فيه بعض شعراء عصره: (سريع)

١- قَدْ غَاصَ فِي البَحْرِ كِتَابُ الفُصُوصْ وَهَكَـذَا كُـلُّ ثَقِيـلٍ يَغُـوصْ

فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد:

١- عَـادَ إلى عُنْصُـرِهِ إِنَّـمَا يَخْـرُجُ مِـنْ قَعْـرِ البِحَـارِ الفُصُـوصْ

(١) رُواءٌ بالضمِّ: أَي مَنْظر .

(٢) الطِّرْسُ بالكَسْرِ: الصَّحِيفَةُ إِذا كُتِبَتْ، أَو هِيَ الكِتَابُ المَمْحُوُّ الَّذِي يُسْتَطَاع أَنْ يُعادَ عَلَيْه الكِتَابَةُ .

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ١٦، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٣٣، معجم الأدباء ٤/ ١٤٤١، نفح الطيب ٣/ ٧٨، وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٩، شذرات الذهب مج٢ جـ٣/ ٢٠٧، بغية الوعاة ٢/ ٧، الفلاكة والمفلكون ١٠٢، إشارة التعيين ١٤٦، البلغة ١/ ١٥٧.

❁ ❁ ❁

-٢٨-

❁ وقال صاعد بن الحسن: (وافر)

١- فَرَدَّتْ أَعْيُنَ الرُّقَبَاءِ حَيْرَى بِأَلْحَاظٍ كَأَلْحَاظِ الْمُرُوعِ

٢- لَمْ يَكُ فِيَّ إِذْ رَحَلُوا سِوَى أَنْ أُغَازِلَهُمْ بَأَطْرَافِ الدُّمُوعِ

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني ١٣٣ مقطوعة رقم ٢٥٦ (باب في فتور العين ومرضها وغنجها).

-٢٩-

❁ وخرج المنصور مع صاعد يوما إلى رياض الزاهرة، فمد يده إلى شيء من الترنجان فعبثَ به ورماه إليه معرضا أن يصفه، فقال: (بسيط)

١- لَمْ أَدْرِ قَبْلَ تُرُنْجَانٍ عَبِثْتَ[1] بِهِ أَنَّ الزُّمُرُّدَ قُضْبَانٌ[2] وَأَوْرَاقُ

(١) في نهاية الأرب، وحسن المحاضرة "مررتَ "بدلا من " عَبِثْتَ "، وفي البيان الغرب " علمتُ " بدلا من " عَبِثْتَ ".

(٢) في بدائع البدائه، ونهاية الأرب، ونفح الطيب، وحسن المحاضرة، وشرح مقامات الحريري " أغصانٌ " بدلا من " قضبانٌ" .

٢- مِـنْ طِيبِـهِ سَرَقَ الأُتْـرُجُّ نَكْهَتَـهُ يَـا قَـوْمُ حَتَّـى مِـنَ الأَشْـجَار[١] سُرَّاقُ

٣- يُشَـارِكُ الْخَمْـرَ فِي نَفْـي الْهُمُـومِ إِذَا مَـا شَـمَّهُ مُـوتَرٌ بِـالْهَجْرِ مُشْـتَاقُ[٢]

٤- كَـأَنَّمَا الحَاجِـبُ المَنْصُـورُ عَلَّمَـهُ فِعْـلَ الجَمِيـلِ فَطَابَـتْ مِنْـهُ أَخْـلَاقُ

٥- مَـنْ لَـيْسَ يُقْعِـدُهُ مِـنْ[٣] سُـؤْدَدٍ قَـدَمٌ وَلَا تُقُـومُ لَـهُ فِي سَـوْأَةٍ سَـاقُ

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢١، البيان المغرب ٣ / ١٩، بدائع البدائه ١٦٤، نفح الطيب ٣/ ٩٥، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/ ٤٢١، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري - دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١١/ ٢٥٥، شرح مقامات الحريري جـ١/ ١٢٠، ١٢١.

ذُكرت المقطوعة كاملة في الذيرة، والبدائع باستثناء البيت الثالث الذي لم يرد إلا في البيان المغرب فقط، وأورد صاحب البيان المغرب الأبيات الأربعة الأولى دون الخامس الذي أسقطه، وذكر المقري في نفحه الأبيات الثلاثة الأولى فقط دون الرابع، واقتصرت روايات نهاية الأرب، وحسن المحاضرة، وشرح مقامات الحريري على ذكر البيتين الأول والثاني فقط دون البقية.

(١) في بدائع البدائه " الأزْهارِ " بدلا من " الأَشْجَار " .

(٢) انفرد بذكر البيت البيان الغرب دون بقية المصادر.

(٣) في بدائع البدائه " عن " بدلا من " من " .

-٣٠-

❁ ومن نظم صاعد في الخيري[١] قوله: (وافر)

١- بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ خِيرِيِّ دَارِي[٢] مُخَزَّمَـــةً[٣] كَـــأَوْاقِ العَقِيـــقِ

٢- تُوَكَّلُ بِـ لْمَعْزُوفِ[٤] عَنِ التَّصَابِي وَتَصْـــطَادُ الخَلِيـــعَ مِـــنَ الطَّرِيـــقِ

التخريج:

الذخيرة ق٤مج١/ ٢١، نفح الطيب ٣/ ٩٧، شرح مقامات الحريري ١/ ١٢١.

❁ ❁ ❁

-٣١-

❁ قال أَبُو العَلاء صَاعِد البَغْدَادي يُهَنِّئُ عبدَ الرحمن بن المَنْصُور محمد بن أبي عامر[٥] بولايَةِ العَهْدِ: (طويل)

١- قَـرَأْتَ كِتَـابَ الجُـودِ وَحْـدَكَ أَوْلا وَأَوْضَحْتَ مِنْهُ كُـلَّ مَـا كَـانَ مُشْـكَلَا[٦]

---

(١) الخيريُّ نَبَاتٌ لَهُ زَهْرٌ وَغلب على أصفره لِأَنَّهُ الَّذِي يسْتَخْرج دهنه وَيدخل فِي الْأَدْوِيَة وَيُقَال للخزامى خيري الْبر لِأَنَّهُ أزكى نَبَات الْبَادِيَة .

(٢) في نفح الطيب " روْض " بدلا من "داري " .

(٣) في نفح الطيب " مكرمة " بدلا من " مُخَزَّمَةً " .

(٤) في نفح الطيب " بالغروب " بدلا من " بِالْعُزُوفِ " .

(٥) عبد الرحمن شنجول بن المنصور العامري قام بالأمر بعد موت أخيه عبد الملك، وتلقب بالناصر لدين الله، وجرى على سنن أبيه في الحجر على الخليفة هشام،والاستقلال بالملك دونه،فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده، فأجابه،ثار عليه الأندلسيون وقتلوه بقرطبة سنة ٣٩٩ .انظر نفح الطيب ١/ ٤٢٦.

(٦) المشكل: الذي لا يهتدى لحله إلا بعد جهد، أو المتشابه الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل.

٢- فَلَمَّا تَجَلَّى الحُسْنُ مِنْهُ لَبِسْتَهُ فَأَحْسَنْتَ فِي الأَقْوَامِ أَنْ تَتَفَضَّلَا
٣- أَمَا والذِي أَعْطَى الخِلَافَةَ رَبَّهَا أَغَرّ[١] مُعِمّاً[٢] فِي البَّايُعِ مُخْوَلَا[٣]
٤- لَقَدْ حَازَهَا مُرْخٍ[٤] عَلَيْهَا جَنَاحَهُ عُقَابٌ[٥] إِذَا مَا أَعْلَقَ الصَّيْدَ جَلْجَلَا

التخريج:

أعمال الأعلام لابن الخطيب ٩٤.

❁ ❁ ❁

-٣٢-

❁ قال صاعد البغدادي : (كامل)

١- يَا أَحْمَدَ بنَ سعيد العلم الَّذِي أَوْفَى فَلِلْحَدَثَانِ[٦] عَنْهُ زَلِيلُ
٢- أَخَذَ الْعِقَابُ مِن ابْنِ مَسْلَمَةَ الَّذِي حَكَمَ الْقَضَاءُ بِهِ وَغَالَتْ غُولُ[٧]
٣- لَمْ تَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةٍ[٨] إِنْ أُدْرِكَتْ خَلَصَتْ وَإِنْ أَسْلَمْتَ فَهْوَ قَتِيلُ
٤- بِيَدَيْكَ بَعْدَ اللهِ فَكُّ إِسَارِهِ وَعَلَيْكَ فِي اسْتِنْقَاذِهِ التَّعْوِيلُ[٩]

---

(١) الأَغَرّ: الأَبْيَضُ من كُلّ شيءٍ.

(٢) المعم: الكثير الأعمام والكريمهم.

(٣) المخول: الكثير الأخوال والكريمهم.

(٤) مُرْخ: مُسْدَلٌ سَاتِر.

(٥) العُقَابُ: بالضَّمَّ: طائِرٌ من العِتَاقِ الجَوَارِح.

(٦) الحَدَثَانُ:حَوَادِثِ الدَّهْرِ ونَوَائِبِهِ.

(٧) الغُولُ، بالضَّمِّ: الهَلَكَةُ، وكُلُّ مَا أَهلَكَ الإنسانَ فَهُوَ غُولٌ، وَقَالُوا: الغَضَبُ.

(٨) الحُشَاشُ، والحُشَاشَةُ بضَمِّهما: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي القَلْبِ، هُوَ الرَّمَقُ فِي المَرِيضِ والجَرِيحِ.

(٩) التَّعْوِيلُ: الاستعانة والمساعدة.

٥- فَـارْحَمْ أَنِـينَ أَبِي بَنَـاتٍ لَمْ يُصَـبْ لِـدُمُ وعِهِنَّ عَـلَى الْخُـدُودِ مَثِيـلُ

٦- أَسَـفُ الْفِـرَاخِ عَـلَى كَفِيـلٍ كَاسِـبٍ أَوْدَى فَلَـيْسَ لَهُـنَّ عَبْـدُ كَفِيـلُ

٧- فَاجْعَلْـهُ فِي يُمْنَـى يَـدَيْكَ فَإِنَّهَـا سُـوٌّ تَحُـوطُ الْمُسْـتَجِيرَ وَغِيـلُ[١]

٨- مَـا ذَنْبُـهُ إِلَّا الزَّمَـانُ فَإِنَّـهُ رِخْـوُ[٢] الْيَـدَيْنِ بِمَـن يُحِـبُّ مَلُـولُ

٩- كَـالْمُرْأَةِ الْوَرْهَـاءِ[٣] تَـنْقُضُ غَزْلَهَـا وَالشَّـاةِ تَمْـلَأُ قَعْبَهَـا[٤] وَتُمِيـلُ

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ١١، والقصيدة وردت ضمن مقطوعة نثرية انفرد بها ابن بسام في ذخيرته، ومهد لها بقوله:

" فصول من نثره في أوصاف شتى "

"اتصل أول دخوله الأندلس بالوزير عبد الله بن مسلمة، فلما نكب استعطف له الوزير أبا جعفر بن الدب ليشفع له عند الخليفة سليمان، وخاطبه في ذلك بعدة رسائل، فكانت رقى لم تنفع، ووسائل لم تنجح ". الذخيرة ق٤مج١/ ١٠.

❁ ❁ ❁

(١) الغِيلُ بِالْكَسْرِ: الأَجَمة، وَمَوْضِعُ الأَسد، وقيل: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ الَّذِي لَيْسَ بشَوك.

(٢) الرَّخْوُ: الهَشُّ اللينُ من كُلِّ شيءٍ.

(٣) امْرأَةٌ وَرْهاءُ: خَرْقاءُ بالعَلَمِ.

(٤) القَعْبُ: القَدَحُ الضَّخْمُ الغَلِيظُ.

- ٣٣ -

❁ ومِنْ عَجَائبِ الدُّنيَا التي لا يَكَادُ يتفقُ مثلها أنّ صاعِدَ بنَ الحسَنِ اللُّغَوِي أَهْدَى إِلَى الْمَنْصُورِ أبي عامِرٍ أَيَّلًا[١]، وَكَتَبَ مَعَهُ أَبْيَاتًا مِنْهَا: (كامل)

١- يَـا حِـرْزَ[٢] كُـلِّ مُخَـوَّفٍ وَأَمَـانَ كُـلِّ لمُشَـرَّدٍ وَمُعِـزَّ كُـلِّ مُـذَلَّلِ

٢- يَـا سِـلْكَ كُـلِّ فَضِـيلَةٍ ونِظَـامَ كُـلِّ جَزِيلَـةٍ وَثَـرَاءَ كُـلِّ مُعَيَّـلِ[٣]

٣- جَـدْوَاكَ إِنْ تَخْصُـصْ بِـهِ فَلَأَهْلُـهُ وَغُـمَّ بِالْإِحْسَـانِ كُـلَّ مُؤَمِّـلِ[٤]

٤- كَالْغَيْـثِ طَبَّـقَ[٥] فَاسْتَوَى فِي وَبْلِـهِ[٦] شُـعْثُ[٧] لْـبِلَادِ مَـعَ الْمَـرَادِ[٨] الْمُقِـلِ[٩]

٥- اللهُ عَوْنُـكَ مَـا أَبَـرَّكَ بِالْهُـدَى[١٠] وَأَشَذَّ[١١] وَقْعَكَ فِي الضَّلَالِ[١٢] الْمُشغِلِ[١٣]

---

(١) الأُيَّل، و الأَيِّل، والإِيَّل: الوَعِل، وهُوَ ذُو القَرنِ الشَّعِث الضَّخْم، مثل الثَّوْرِ الأَهْلِيّ. وَقَالَوا: إِنَّمَا سُمِّيَ إِيَّلاً لِأَنَّهُ يَؤُولُ إِلَى الجِبال، يَتحصَّن فِيهَا .

(٢) الحِرْزُ: المَكَانُ المَنِيعُ يُلْجَأُ إِلَيْه.

(٣) انفرد نفح الطيب بذكر هذا البيت دون بقية المصادر، فكلها أسقطته .

(٤) سقط البيت من رواية الذخيرة والنفح .

(٥) طَبَّقَ: عَمَّ وشّملَ .

(٦) الوَبْلُ: المطَرُ الشدِيدُ .

(٧) الشُّعْثُ: يقال: شعث الشعر شعوثة: تغبَّر وتلبَّد، وشعث الأمر: انتشر وتفرق.

(٨) المُرَادُ: موْضِعُ الرَّعْي .

(٩) لم يرد البيت في الذخيرة، والنفح، والكامل .

(١٠) في إنباه الرواة " لِلْهُدى " بدلا من " بِالْهُدَى" .

(١١) في البغية،والمعجب،ومعجم الأدباء،والوافي بالوفيات،وإنباه الرواة"وأَشَدَّ "بدلا من "وأَشَذَّ" .

(١٢) في المعجب " بالضَّلالِ " بدلا من " في الضَّلَالِ " .

(١٣) في البغية، والمعجب، والوافي بالوفيات، وإنباه الرواة " المُشْعَلِ " بدلا من " المُشْغِلِ " .

٦- مَـا إِنْ رَأَتْ عَيْنِـي وَعِلْمُـكَ شَـاهِدِي شَرْوَى[١] عَلَائِـــكَ فِي مُعِـــمٍّ مُخْـــوِلِ

٧- أَنَدَى بِمَقْرَبَةٍ[٢] كَسِرْحَانِ[٣] الْغَضَا[٤] رَكْضَـاً وَأَوْغَـلَ[٥] فِي مُثَـارِ الْقَسْـطَلِ[٦]

٨- مَـوْلَايَ مُـؤْنِسَ[٧] غُرْبَتِي مُتَخَطِّفِي[٨] مِـنْ ظُفْـرِ أَيَّـامِي مُمَنِّـعَ[٩] مَعْقِـلِي[١٠]

٩- عَبْـدٌ نَشَـلْتَ[١١] بِضَـبْعِهِ[١٢] وَغَرَسْـتَهُ فِي نِعْمَـــةٍ[١٣] أَهْـــدَى إِلَيْـــكَ بِأَيِّـــلِ

١٠- سَـــمَّيْتُهُ غَرْسِـــيَّةً وَعَبَثُـــهُ فِي حَبْلِـــهِ لِيُّـــاحَ[١٤] فِيـــهِ تَفَـــاؤُلِي

---

(١) شروى الشيء: مثله، ويقال: هو لا يملك شروى نقير: مُعدِم.

(٢) المَقْرَبَة: الفَرَسُ أو النَّاقَةُ القَرِيبَةُ لِمُعَدَّةُ للرّكُوبِ.

(٣) السِّرْحانُ: الذِّئْبُ ؟.

(٤) الْغَضَا: نوعٌ من الشَّجَرِ يُنْسَبُ إليهِ نوْعٌ من الذِّئَابِ الخَبِيثَة .

(٥) أَوْغَلَ في البِلادِ وغَيْرِهَا: ذَهَبَ وبَالَغَ وأَبْعَد.

(٦) القَسْطَلُ و القَصْطَلُ: الغُبَار. - سقط البيت من رواية الذخيرة، والكامل، والوافي، والنفح .

(٧) في معجم الأدباء " يُؤْنِسُ " بدلا من " مُؤْنِسَ " .

(٨) تَخَطَّفَهُ: جَذَبَهُ وأَخَذَهُ بِسُرْعَةٍ.

(٩) في معجم الأدباء " بِمَنَعِ " بدلا من " مُمَنِّعَ " .

(١٠) المَعْقِلُ: الحِصْنُ أو المَلْجَأُ.، جاءت روايةُ النفح للبيتِ مخالفَةً كل الروايات في المصادر، ورواية النفح:

وأبي مُؤْانِسُ غُرْبَتِي وتَحَفُّظِي مِنْ صِفْرِ أَيَّامِي ومِنْ مُسْتَعْمِلِي

(١١) في الذخيرة، والنفح " جَذَبْتَ " بدلا من "نَشَلْتَ "، و نشل الشيء وانتشله: أسرع نَزْعَه.

(١٢) الضبع: العضد، وقيل هي:ما بين الإبط إلى نصف العَضُد من أعلاها.

(١٣) في الذخيرة، والنفح " ورَفَعتَ من قِدْارِهِ " بدلا من " وَغَرَسْتَهُ فِي نِعْمَةٍ " .

(١٤) في النفح " لِيَصِحَّ " بدلا من " لِيُتَاحَ "، في الوافي " لِيُاحَ " بدلا من " لِيُّاحَ " .

١١- فَلَـئِنْ قَبِلْـتَ فَـإِنَّ[١] أَسْـنَى نِعْمَـةٍ[٢] أَسْـدَى بِهَـا ذُو مِنْحَـةٍ[٣] وَتَطَـوُّلِ[٤]

١٢- صَـبحَتْكَ[٥] غَايَـةُ السُّرُورِ وَجُلِّـتْ أَرْجَـاءُ رَبْعِـكَ بِالسَّـحَابِ المُخْضِـلِ[٦]

فقضى الله في سابق علمه أن غرسية بن شانجة من ملوك الروم - وكان أمنع من النجم - أسر في ذلك اليوم بعينه الذي بعث فيه صاعد بالأيل وسماه غرسية متفائلاً بأسره وهكذا فليكن الجد للصاحب والمصحوب، وكان أسر غرسية في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاث مائة.

التخريج:

جذوة المقتبس ٢٤٣، ٢٤٤، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٣٥ وقد أورد من القصيدة البيت الأول والتاسع والعاشر دون بقية القصيدة، بغية الملتمس ٢/ ٤١٧، معجم الأدباء ٤/ ١٤٤٠، أعمال الأعلام لابن الخطيب ٦٩، الكامل في التاريخ ٧/ ٤٧٢، ٤٧٣، إنباه الرواة٢/ ٨٨، ٨٩، المعجب في تلخيص أخبار المغرب٣٦، ٣٧، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٣٣، نفح الطيب ٣/ ٨٢، ٨٣، تاريخ أبى الفداء إسماعيل بن أبي الفداء - المطبعة الحسينية - القاهرة٢/ ١١٨، تاريخ ابن الوردي - دار الكتب العلمية بيروت ط١- جـ١/ ٢٩١.

---

(١) انفردت رواية الجذوة دون بقية المصادر بـ" فَإِنَّ "في حين جاءت روايات بقية المصادر " فَتِلكَ ".

(٢) في النفح " أَنْفَسَ مِنَّةٍ " بدلا من " أَسْنَى نِعْمَةٍ " .

(٣) في الوافي، والكامل " ذُو نعْمَة " بدلا من " ذُو مِنْحَةٍ " .

(٤) تطوَّل عليه: تفضَّل.

(٥) في النفح، والوافي " صَحِبَّكَ " بدلا من " صَبحَتْكَ " .

(٦) الخَضِلُ: كلُّ شَيْء نَدٍ يُتَرَشَّفُ مِن نَداهُ، وقيل: البَلَلُ الشَّدِيدُ، والنباتُ النَّاعمُ الرَّطِب .

● وذكر ابن بسام أن غرسية كان أمنع من النجم وسبب أخذه أنه خرج يتصيد فلقيته خيل للمنصور من غير قصد فأسرته وجاءته به فكان هذا الاتفاق مما عظم به العجب.

● وأردف المقري في النفح الحادثة بقوله: حكي أن المنصور قال بسبب هذه القضية: أنه لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب إلا لحسن نيته وسريرته، وصفاء باطنه، فرفع قدره من ذلك اليوم فوق ما كان، ورجحه على أعدائه، وحق له ذلك.

❁ ❁ ❁

-٣٤-

❁ وقال صاعد بن الحسن يصف كأس بلور فيه شراب أصفر: (طويل)

١- جَلَوْتَ لَنَا قِشْرَاً مِنَ الصُّبْحِ مُتْرَعَا[١] مِنَ الشَّمْسِ يعْشَى[٢] دُونَهَا المُتَوَسِّمُ[٣]

٢- فَأَعْيُنُنَا سَكْرَى لِفَرْطِ شُعَاعِهِ وَشَارِبُهَا مِنْ شِدَّةِ السُّكْرِ مُفْحَمُ[٤]

التخريج:

كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ١٠٠ مقطوعة رقم ١٧٨ -(باب في صفات الكؤوس والأقداح).

❁ ❁ ❁

(١) مُتْرَعٌ: مَمْلُوءٌ.

(٢) العَشا، مَقْصورَةً: سُوءُ البَصَرِ باللَّيْلِ والنَّهارِ، هُوَ مَصْدرُ الأَعْشى لَمَنْ لَا يُبْصِرُ باللّيْلِ ويُبْصِرُ بالنّهارِ، وقد يطلق على ذهابُ البَصَرِ مُطْلقاً.

(٣) المُتَوَسِّم: المُتَحَلِّي بِسمَةِ الشُّيُوخِ، وقيل: الوَرِعُ.

(٤) المُفْحَم: العَيِيُّ، أو الَّذِي لَا يَقُولُ الشِّعْرَ، والساكتُ، والذي لَمْ يُطِقْ جَوَابَاً.

❁ قال صاعد البغدادي في الآسِ[١]: (بسيط)

١- مَـنْ كَـانَ فِي وُدِّهِ لِـلآسِ مُـتَّهَماً فَـــإِنَّ عِنْـــدِيَ وُدّاً غَـــيْرَ مُـــتَّهَمِ

٢- نِعْـمَ الصَّـدِيقُ فَـمَا يُخْشَـى تَلَوُّنُـهُ عَـــلَى مُعَاقَبَـــةِ الإِصْـــبَاحِ وَالظُّلَـــمِ

٣- أَوْرِاقُـــهُ مِثْـــلُ آذَانِ الْجِيَـــادِ إِذَا تَشَـوَّفَتْ[٢] فِي مَجَـالِ الطَّعْـنِ لِلْبُهُمِ[٣]

٤- إِذَا رَآهُ أَبُـــو مَـــرْوَانَ ذَكَّـــرَهُ تَهَافُتَ الرَّكْبِ فِي الْقِيعَانِ[٤]وَالأَكَـمِ[٥]

التخريج:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٣/ ١٨، ١٩.

❁ ❁ ❁

(١) الآسُ: ضَرْبٌ من الرّيَاحِين، وهو شَجَرٌ عَطِرُ الرَّائِحَةِ، دَائِمُ الخُضْرَةِ أَبْيَضُ الزَّهْرِ أَوْ وَرْدِيّه .

(٢) تَشَوَّفَ الشَّيْءَ: تطلع إِلَيْهِ،وطمح لَهُ، ويقال:تَشَوَّفَ: إِذا اشْرَأبَ وعَلا للنَّظَرِ.

(٣) البَهْمُ: جمع بَهْمَةٍ، وهي أَوْلادُ الضَّأْنِ،والبُهْمَةُ بالضَّمِّ: الفَارِسُ الذِي لا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى، من شِدّةِ بَأْسِه، والجَمْعُ بُهَمٌ. ويُقَالُ أيضاً للجَيْشِ بُهْمَةٌ .

(٤) القاعُ والقاعةُ والقِيعَانُ: أَرض واسعةٌ سَهْلة مُطَمْئِنَةٌ مُسْتَوِيَةٌ حُرّةٌ لَا حُزُونةَ فِيهَا وَلَا ارْتِفاعَ وَلَا انْهِباطَ.

(٥) الأَكَمَةُ تَلٌّ وَقِيلَ شُرْفَةٌ كَالرَّابِيَةِ هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ الْحِجَارَةِ فِي مَكَان وَاحِدٍ وُرُبَّمَا غَلُظَ وُرُبَّمَا لَمْ يَغْلُظْ.

-٣٦-

❁ وقال صاعد بن الحسن باب في الحديث: (كامل)

١- مَـا ضَرَّ أَهْلَـكِ مِـنْ لِمَـامِ[١] مُخَـالِسٍ[٢] قِطَعَ[٣] الْحَدِيثِ كَـوَشْيِ رَوْضٍ مُـرْهَمِ[٤]

٢- هَـلْ غَـيْرُ شَـكْوَى مُـدْنَفٍ[٥] قَـذَفَتْ بِـهِ بُرَحَـاءُ[٦] وَجْـدِكِ فِي لَهِيـبٍ مُضْـرَمِ[٧]

التخريج:

كتاب التشبيهات صـ ١٤٢ مقطوعة رقم ٢٨٥-(باب في الحديث).

❁ ❁ ❁

-٣٧-

❁ قال صاعد البغدادي في وصف المنثور[٨]، وأبدع: (سريع)

١- قَـدْ أَقْبَـلَ الْمَنْثُـورُ يَاسَـيِّدِي كَالـدُّرِّ وَيْـاقُوتٍ فِي نَظْمِـهِ

٢- ثَنَـاكَ لا زَالَ كَأَنْفَاسِـهِ وَرَأْسُ مَـنْ عَـادَاكَ مِثْـلُ اسْـمِهِ

---

(١) اللِّمَامُ: اللِّقَاءُ اليَسِيرُ، ومنه يَزُورُنا لِمَامًا، أَيْ: غِبًّا على غَيْرِ مُوَاظَبَةٍ.

(٢) الخَلْسُ: السَّلْبُ،والأَخْذُ فِي نُهْزَةٍ ومخَاتَلَةٍ.

(٣) قِطَعَ مفعول به لاسم الفاعل " مخالس " .

(٤) وُضٍ مُرْهَم: أصابَهُ المطرُ، والرَّهمُ: المَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ الصَّغِيرُ القَطْر.

(٥) الدَّنَفُ: المَرَضُ المُلازِمُ،وَقيل: هُوَ اللاّزمُ المُخَامِرُ.

(٦) البُرَحاءُ: الشِّدَّةُ والمَشَقَّةُ، وَقيل:شِدّةُ الكَرْبِ .

(٧) مُضْرَم: مُشْتَعِلٌ مُلْتَهِب .

(٨) المنثور: شجر وهو الخِيْرِيّ والنَّمامُ، وهو صنفان وأفضله ما كان زهره أصفر فأما الأبيض فضعيف لكثرة مائه.

التخريج:

البيتان انفرد بإيرادهما أبو البقاء عبدا لله البدري في نزهة الأنام في محاسن الشام صـ ٨٤.

❁ ❁ ❁

-٣٨-

❁ ومن نظم صاعد: (منسرح)

١- قُلْتُ لَهُ وَالرَّقِيبُ يُعْجِلُهُ مُوَدِّعَاً لِلْفِرَاقِ أَيْنَ أَنَا

٢- فَمَدَّ كَفَّاً إِلَى تَرَائِبِهِ[١] وَقَالَ سِرْ وَدِّعاً فَأَنْتَ هُنَا

التخريج:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢٢، نفح الطيب ٣/ ٩٧، شرح مقامات الحريري للشريشي ٥/ ٣٧٨.

❁ ❁ ❁

-٣٩-

❁ روى المقّريُّ قال: ذكر ابنُ سعيد أنَّ ابنَ العَرِّيف[٢] النحوي دخلَ على المَنْصُورِ بنِ أبي عَامر، وعنده صَاعِدٌ اللُّغَويُّ البَغْدَادِيُّ، فَأَنْشَدَهُ وهو بالمَوضِعِ المعْرُوفِ بِالعَامِرِيَّةِ مِنْ أَبْيَاتٍ: (مجتث)

١- فَلْعَامِرِيَّةُ[٣] تَزْهَى[٤] عَلَى جَمِيعِ المُبَانِي

---

(١) التَّرائبُ: عِظامُ الصَّدْرِ.

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) العَامِرِيَّةُ :قصرٌ اتخذه المنصورُ لنفسِهِ، وأبْدعَ بُنَاته في بنائه وهيكله .

(٤) تَزْهَى: تتيه، وتفتخر .

٢- وَأَنْـتَ فِيهَـا كَسَـيْفٍ[١] قَـدْ حَـلَّ فِي غُمْـدَانِ[٢]

فَقَامَ صَاعِدٌ وكَانَ مُنَاقِضاً لـهُ، فَقَالَ أَسْعَدَ اللهُ تعالى الحَاجِبَ الأَجَلَّ ! ومَكَّنَ سُلْطَانَهُ ! هَذَا الشِّعْرُ الذِي قَالَهُ قَدْ أَعَدَّهُ وَّى فيهِ أَقْوِلُ أنْ أَقُولَ أَحْسَنَ مِنْهُ ارْتِجَالاً، فقالَ لهُ المَنْصُورُ: قُلْ لِيَظْهَرَ صِدْقُ دَعْوَاكَ، فَجَعَلَ يَقُولُ من غيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ: (مجتث)

٣- يَـا أَيُّهَـا الحَاجِـبُ المُعْـ ـتَلِي عَـلَى كِيـوَانِ[٣]

٤- وَمَـنْ بِـهِ قَـدْ تَنَـاهَى فَخَـارُ كُـلِّ يَـمَانِ

٥- العَامِرِيَّـةُ أَضْـحَتْ كَجَنَّـةِ الرِّضْـوَانِ

٦- فَرِيـدَةٌ لَفَرِيـدٍ مَـا بَـيْنَ أَهْـلِ الزَّمَـانِ

ثُمَّ مَرَّ في الشِّعْرِ إلى أنْ قَالَ في وَصْفِهَا:

٧- انْظُـرْ إلى النَّهْـرِ فِيهَـا يَنْسَـابُ كَالثُّعْبَـانِ

٨- وَالطَّـيْرُ يَخْطُـبُ شُـكْراً عَـلَى ذُرَا[٤] الأَغْصَـانِ

٩- وَالْقُضْـبُ تَلْتَـفُّ سُـكْراً بِمُـيَّسٍ[٥] لْقُضْـبَانِ

١٠- وَالـرَّوْضُ يَفْـتَرُّ زَهْـواً عَـنْ مَبْسَـمِ الأَقْحُـوَانِ[٦]

---

(١) يقصد سيف بن ذي يزن اليمني الذي أخرج الأحباش من بلاده .

(٢) غمدان قصر باليمن في صنعاء اتخذه سيف بن ذي يزن مقراً له .

(٣) كِيوَانٌ – هو اسْم أعجميٌّ للكوكب زُحَلٌ .

(٤) ذُرَى الشيء بالضَّم: أَعَالِيه،

(٥) المَيْسُ: التبخترُ والاختيالُ .

(٦) الأُقْحُوانُ: نبتٌ طيِّبُ الريح، حواليه ورقٌ أبيض، ووسطه أصفر.

١١ - وَالنَّـرْجِسُ الْغَـضُّ يَرْنُـو بِوَجْنَـــــةِ الـــــنُّعْمَانِ[1]

١٢ - وَاحَـــةُ الـــرِّيحِ تَمْتَـــا رُ نَفْحَـــــــةَ الرَّيْحَـــــــانِ

١٣ - فَـدُمْ مَـدَى الـدَّهْرِ فِيهَـا فِي غِبْطَـــــــةٍ وَأَمَـــــــانِ

فاسْتحسَنَ المَنْصُورُ ارْتجَالَهُ، وقالَ لابنِ العرِّيفِ: مَالكَ فَائدَة في مُناقضَةِ من هذا ارتجالُهُ، فكيفَ تكُونُ رَوِيَّتُهُ، فقال ابنُ العرِّيف: إنَّمَا لَفَّقَهُ، وقَرَّبَ عليه المأخَذَ عليهِ إحْسَانُكَ، فقالَ لهُ صَاعِدٌ: فَيخْرُجُ منْ هَذَا أَنَّ قِلَّةَ إحْسَانِهِ لكَ أَسْكَتْكَ، وبَعَّدَتْ عليكَ المأخَذَ، فضحكَ المنصُورُ، وقالَ: غَيْرُ هذِه المَازَعَةِ أَلْيَقُ بِأَدَبِكُمَا.

التخريج:

نفح الطيب ١/ ٥٨٢ - ٥٨٤.

١ النُّعْمَان: نَوْرٌ يميلُ إلى الحُمْرة، طيبُ الرَّائحة، جميلُ المنظر .

أبيات
متنازعة النسبة
بين صاعد البغدادي و غيره

- ٤٠ -

❁ دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب، فملأ الساقي قدحا من إبريق، فبقيت على فم الإبريق نقطة من الراح قد تكونت ولم تقطر، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديهاً: (بسيط)

١- وَقَهْوَةٍ مِن[١] فَمِ الإِبْرِيقِ صَافِيَةٍ كَدَمْعِ مَفْجُوعَةٍ بِالإِلْفِ مِعْبَارِ

٢- كَأَنَّ إِبْرِيقَنَا والرَّاحُ في فَمِهِ طَيْرٌ تَزَقَّقَ[٢] يَاقُوتاً بِمنقَارِ[٣]

---

(١) في الذخيرة " في " بدلا من " من" .

(٢) في الذخيرة والنفح " تناول " بدلا من " تزقق " ، ويقال: زَقَّ الطائرُ الفَرخَ:أَطعمه بفِيه.

(٣) عقب علي بن ظافر على البيتين بقوله: وقد أخذه من قول الشريف أبي البركات علي بن الحسن العلوي:

كأن ريح الروض لما أتت فتت علينا مسك عطار

كأنما إبريقنا طائر يحمل ياقوتاً بمنقار

انظر في بيتي الشريف يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي تح د:مفيد محمد قمحية- دار الكتب العلمية –بيروت- ط١/ ١٤٠٣هـ١٩٨٣م – جـ ٤/ ٤٨٥ .

- وقال ابن بسام في ذخيرته تعليقاً على البيتين: فكانوا يولعون بهذا التشبيه، كما قاله - زعم - على البديه، وإنما نقل لفظ أبي البركات العلوي مما أنشده الثعالبي:

كأنما إبريقا طائر يحمل ياقوتا بمنقار

أو قول أبي الفرج الببغاء من أرجوزة خاطب بها الصابي:

كأنما الحبة في منقارها حبابة تطفوا على عقارها

انظر في بيت أبي الفرج يتيمة الدهر ١/ ٣١٣ .

التخريج:

١- بدائع البدائه لعلي بن ظافر ١٦٥، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤ مج١/ ٢٥ ، نفح الطيب ٣/ ٩٦.

٢- ذكر البهاء العاملي البيت الثاني ونسبه لابـن المعتـز في وصـف إبريـق. انظـر الكشـكول لبهاء الدين العاملي -تح: محمد عبد الكريم النمري-دار الكتب العلميـة - بـيروت / لبنان – ط١/ ١٤١٨هـ -١٩٩٨م - جـ٢/ ٢٣٨.

وكـذلك فعـل الراغـب الأصـفهاني فقـال: لابـن المعتـز في وصـف إبريـق في فمـه قطـرة. محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء والبلغـاء للراغـب الأصـفهاني -ط- شركـة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت -ط١/ ١٤٢٠ هـ - ١/ ٨١٣.

٣- ولم يرد البيتان في دواوين ابن المعتز المطبوعة، وقد حقق د/ محمد بديع شريف ديوانه وألحق به عدة ملحقات للأشعار المتنازعة النسبة بينه وبين غيره، ولم يذكر فيها البيتين. انظر:

- ديوان ابن المعتز – تح د:محمد بديع شريف – دار المعارف القاهرة.

- ديوان ابن المعتز – دار صادر بيروت

- ديوان ابن المعتز – شرح محي الدين الخياط – مطبعة الإقبال – بيروت.

- وقد ورد البيت الثاني وحده في ديوان شعر ابن المعتز شرح يونس السامرائي في (زيادات شعر ابن المعتز) جـ ٣/ ٢٦٨ – طبعة عالم الكتب بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٤- أورد البيتين ابنُ ظافر منسوبين لابن برد الأندلسي في تشبيه الإبريق والكأس . غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر -تح د: محمد زغلول سـلام، دكتـور

مصطفى الصاوي الجويني-ط دار المعارف، القاهرة -صـ ١٣٧، ولم ينسبهما له غيره ممن اعتنوا بالترجمة له قصداً أو عرضاً؛ مما يجعل نسبة البيتين إليه غير ثابتة.

- والأقرب للصواب أن البيتين لصاعد اهتدمهما من أشعار السابقين، فقد كان على بصيرة بها، ويملك المقدرة الفنية، والموهبة المكينة التي تعينه على ذلك، إضافة إلى تصريح جل الروايات التي ترجمت له بأنه كان يهتدم أحيانا أبيات سابقيه، تؤكد ذلك روايات بدائع البدائه ، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ونفح الطيب.

❁ ❁ ❁

- ٤١ -

❁ ومن شعر صاعد قوله: (كامل)

١- وَمُهَفْهَفٍ أَبْهَى من الْقَمَرِ قَهَرَ[1] الفُؤَادَ بفَاتِنِ الطَّرِ

٢- خَالَسْتُهُ تُفَّاحَ وَجْنَتِهِ فَأَخَذْتُهَا منهُ على غَرَرِ

٣- فَأَخَافَنِي قَوْمٌ قُلْتُ لَهُمْ لا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ ولا كَثَرِ[2]

(١) انفرد ت رواية النفح بـ " قهر " والروايات الأخرى جميعها " قمر " .

(٢) الشطر نص حديث لرسول الله (ﷺ) وهو:"لا قطع في ثَمَرٍ ولاَ كَثَرٍ" ، والكَثَر بفتحتين جمار النخل وقيل طلعها .

التخريج:

١- نفح الطيب ٣/ ٧٦ ، معجم السفر ٤٥٢ ، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر صـ١٤٤، معجم الأدباء ٤/ ١٤٤٢، الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي صـ ٥ ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/ ٤٦٠، إنباه الرواة ٢ / ٦٦، الوافي بالوفيات للصفدي ٥/ ٢٢٤.

٢- وردت الأبيات الثلاثة في ديوان الصاحب بن عباد – تح محمد حسين آل ياسين – دار القلم – بيروت ٢/ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م –ص، ٢٣١، ويتيمة الدهر ١/ ٤٠٥ ، وفي: قرى الضيف لعبد الله بن محمد بن قيس - تح: عبد الله بن حمد المنصور - ط - أضواء السلف – الرياض ط١/ ١٩٩٧ – جـ ٣/ ٢٩٨ ، وفي معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١/ ٤١٣ منسوبة في جميعها للصاحب بن عباد ونصها:

١- ومُهَفْهَفٍ يُغني عن القمرِ قَمَرَ الفُؤادِ بفاترِ الأَزرِ

٢- خَالَسْتُهُ تُفَّاحَ وَجْنَتِهِ من غيرِ إبْقاءٍ ولا حَذَرِ

٣- فَأَخَافَنِي قَوْمٌ قُلْتُ لَهُمْ لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولا كَثَرِ

مما يجعل نسبتها للصاحب ابن عباد أقرب من نسبتها لصاعد البغدادي، فقد وردت في ديوان الصاحب غير متنازعة النسبة، كذلك لم توردها المصادر القريبة العهد بصاعد زمنيا مثل جذوة المقتبس، وبغية الملتمس، والذخيرة، وغيرها من المصادر التي ترجمت له، وأوردت أخباره وأشعاره.

❁ ❁ ❁

- ٤٢ -

❁ وصاعد القائل: (مجزوء الرمل)

١- لِيَ مِـــنْ سِرِّ بَنِـــي العَبَّـــا سِ خِـــــلٌّ وَجَلِـــــيسُ

٢- شَـــهِدَ لَمْجْـــدُ عَلَيْـــهِ أَنَّـــهُ العِلْـــقُ[1] النَّفِـــيسُ

٣- فَـــــإِذَا جَالَسْـــــتُهُ لَمْ تَـــدْرِ مَـــنْ مِنَّـــا الجَلِـــيسُ

التخريج:

١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤مج١/ ٢١، شرح مقامات الحريري ٣/ ٤٣.

٢- وردت الأبيات منسوبة لكشاجم في ديوانه، ونصها: (مجزوء الرمل)

١- لِيَ مِـــنْ سِرِّ بَنِـــي العَبَّـــا سِ خِـــــلٌّ وَفِـــــيسُ

٢- شَـــهِدَ لَمْجْـــدُ عَلَيْـــهِ أَنَّـــهُ عِلْـــقٌ نَفِـــيسُ

٣- يَهَـــبُ الأَســـلاَبَ والمـــا لَ عـــلى الشّـــكرِ حَبِـــيسُ

٤- وإذا جَالســـــــتُهُ لَمْ يُـــدْرَ مَـــنْ منَّـــا الجَلِـــيسُ

انظر ديوان كشاجم تح: النبوي عبد الواحد شعلان – مطبعة الخانجي القاهرة – ط١/ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م – صـ ٢٢٧، ٢٢٨.

٣- أورد صاعد البغدادي الأبيات الثلاثة في كتابه الفصوص منسوبة لكشاجم، وصدرها بقوله: وأنشدني أبو بكر الخالدي لأبي الفتح الملقب بكشاجم، ثم أورد له ستة فصوص أردفها بفص سابع استهله بقوله: وأنشدني (أي الخالدي) له (يقصد لكشاجم) يصف صديقاً من بني هاشم: (مجزوء الرمل)

(١) العِلْقُ: الكريمُ النفيس.

١- لِيَ مِـــنْ سِرِّ بَنِـــي العَبَّـــا سِ خِـــــلٌّ وَفِـــــيسُ

٢- شَـــهِدَ لَمَجْـــدُ عَلَيْـــهِ أَنَّـــهُ عِلْـــقٌ نَفِـــيسُ

٣- فَـــــإِذَا جَالَسْـــــتُهُ لَمْ تَـــدْرِ مَـــنْ مِنَّـــا الجَلِـــيسُ

- وعلى ذلك فالأبيات واضحة النسبة لكشاجم، وليست لصاعد، وأما قول ابن بسام في ذخيرته فوهم وخلط تبعه فيه الشريشي في شرحه مقامات الحريري.

مصادر الدراسة والتخريج

١ - أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر لأبي طاهر السلفي - تح: إحسان عباس - دار الثقافة بيروت - ط١/ ١٩٦٣.

٢- أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها للوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين -إعداد: حمد الجاسر- دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض-١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣-أعمال الأعلام لابن الخطيب – تح: ليفي بروفنسال – دار المكشوف بيروت ١٩٥٦م.

٤- الأمالي للقالي -ترتيب: محمد عبد الجواد - دار الكتب المصرية -ط٢/ ١٩٢٦م .

٥- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي– صححه أحمد أمين – المكتبة العصرية – بيروت .

٦-إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي – تح:محمد أبو الفضل إبراهيم-دار الفكر العربي - القاهرة–ط١/ ١٠٤٦هـ- ١٩١٩٨٦م .

٧- الأوراق قسم أخبار الشعراء للصولي- شركة أمل للطباعة – القاهرة - ١٤٢٥ هـ .

٨- بدائع البدائه لعلي بن ظافر ط-مصر سنة ١٨٦١م .

٩- بغية الملتمس للضبي – تح: إبراهيم الإبياري – دار الكتاب اللبناني – ط١/ ١٩٨٩م.

١٠- بغية الوعاة للسيوطي – تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية بيروت .

١١-البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي -تح: محمد المصري - ط جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت – ط١/ ١٤٠٧هـ

١٢- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي- تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال- دار الثقافة، بيروت – لبنان ط٣/ ١٩٨٣م .

١٣- تاريخ ابن الوردي – دار الكتب العلمية بيروت ط١ .

١٤- تاريخ أبى الفداء إسماعيل بن أبي الفداء - المطبعة الحسينية – القاهرة .

١٥- -تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي - تح:عمر عبد السلام التدمري- دار الكتاب العربي، بيروت - ط٢/ ١٤١٣.

١٦- تاريخ دمشق لابن عساكر-تح: عمرو العمروي- دار الفكر للطباعة بيروت- ١٩٩٥م .

١٧- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتاني–تح د:إحسان عباس–دار الشروق بيروت – ط٣/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٨- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا للمبرد - تح: إبراهيم محمد حسن الجمل - نهضة مصر.

١٩- جذوة المقتبس للحميدي – الدار المصرية للترجمة والنشر ١٩٦٦م.

٢٠-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي -تح: محمد أبو الفضل إبراهيم -ط- دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر- -ط١ / ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٢١- الحماسة البصرية لأبي الحسن البصري -تح: مختار الدين أحمد- عالم الكتب – بيروت .

٢٢- الحماسة المغربية للجرّاوي التادلي - تح: محمد رضوان الداية- دار الفكر المعاصر - بيروت- ط١/ ١٩٩١م .

٢٣- الحلة السيراء لابن الأبار – تح د: حسين مؤنس – دار المعارف القاهرة – ط٢/ ١٩٨٥.

٢٤- الحور العين لنشوان بن سعيد الحميرى- تح: كمال مصطفى- مكتبة الخانجي القاهرة- ١٩٤٨.

٢٥- ديوان دعبل – صنعة عبد الكريم الأشتر – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ط٢/ ١٩٨٣م .

٢٦- ديوان ابن الرومي – تح: أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية بيروت – ط٢/ ٢٠٠٢م .

٢٧- ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له علي فاعور – دار الكتب العملية بيروت – ط١/ ١٩٨٨م.

٢٨- ديوان الشماخ بن ضرار – تح: صلاح الدين الهادي – دار المعارف بمصر – القاهرة.

٢٩- ديوان الصاحب بن عباد – تح محمد حسين آل ياسين – دار القلم – بيروت ٢/ ١٩٧٤م.

٣٠- ديوان عبد الله بن المعتز – تح د:محمد بديع شريف – دار المعارف القاهرة .

٣١- ديوان عدي بن زيد – تح: محمد جبار المعيبد – دار الجمهورية – بغداد -١٩٥٦م.

٣٢- ديوان عمر بن أبي ربيعة – دار القلم – بيروت.

٣٣- ديوان عمرو بن كلثوم – تح: إميل يعقوب –دار الكتاب العربي– بيروت – ط٢/ ١٩٩٦م.

٣٤- ديوان الفرزدق شرح علي فاعور – دار الكتب العلمية - بيروت – ط١/ ١٩٨٧م.
٣٥- ديوان كشاجم تح: النبوي عبد الواحد شعلان – مطبعة الخانجي القاهرة – ط١/ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٣٦- ديوان النابغة – شرح حنا نصر الحتى – دار الكتاب العربي – بيروت – ط١/ ١٩٩١م.
٣٧-الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام – تح: إحسان عباس – دار الثقافة بيروت ١٩٩٧م.
٣٨- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام جمعه ورتبه:بشير يموت- المكتبة الأهلية بيروت - ط١/ ١٩٣٤م.
٣٩- شذارت الذهب لابن العماد – دار الكتب العلمية – بيروت .
٤٠- شرح ديوان جرجير للصاوي – مطبعة الصاوي –القاهرة .
٤١- شرح ديوان المتنبي للبرقوقي – دار الكتاب العربي – بيروت ٤/ ٧٨ .
٤٢- شرح مقامات الحريري للشريشي- تح: محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٣-الصلة لابن بشكوال – تح / إبراهيم الإبياري – دار الكتاب المصري ط١/ ١٩٨٩م.
٤٤- العقد الفريد لابن عبد ربه - دار الكتب العلمية - بيروت-ط١/ ١٤٠٤ هـ .
٤٥- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر -تح د: محمد زغلول سلام، دكتور مصطفى الصاوي الجويني-ط دار المعارف، القاهرة.

٤٦- الفصوص لصاعد البغدادي – تح: عبدالوهاب التازي- وزارة الأوقاف المغربية – ١٩٩٣.

٤٧- فهرسة ابن خي- تح:فرنشكه قداره وخليان طرغون– المكتب التجاري بيروت ١٩٦٣م.

٤٨- قرى الضيف لعبد الله بن محمد بن قيس - تح: عبد الله بن حمد المنصور - ط - أضواء السلف – الرياض ط١/ ١٩٩٧ .

٤٩-الكامل في التاريخ لابن الأثير- تح: عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي، بيروت - ط١/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٥٠- الكشكول لبهاء الدين العاملي -تح: محمد عبد الكريم النمري-دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان – ط١/ ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

٥١- لسان الميزان لابن حجر – منشورات الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٩٧١م.

٥٢- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدي تح:ف. كرنكو- دار الجيل، بيروت -ط١ / ١٩٩١ م.

٥٣- مجمع الأمثال للميداني - تح: محمد محيى الدين عبد الحميد- دار المعرفة – بيروت.

٥٤- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني -ط- شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم –بيروت -ط١/ ١٤٢٠ هـ.

٥٥- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري - دار الكتب العلمية - بيروت-ط٢/ ١٩٨٧م .

٥٦-المسلك السهل شرح توشيح ابن سهل للإفراني – تح: محمد العمري– طبعة وزارة الأوقاف المغربية – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٥٧-المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي- تح: محمد زينهم إبراهيم – دار الفرجاني – القاهرة – ١٩٩٤م .

٥٨- معجم الأدباء لياقوت الحموي – تح:إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٣م .

٥٩- معجم السفر لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي -تح: عبد الله عمر البارودي-المكتبة التجارية- مكة المكرمة .

- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي الأندلسي- - تح: د. شوقي ضيف- دار المعارف ٦٠– القاهرة - ط٣/ ١٩٥٥٠.

٦١-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري – تح إحسان عباس – دار صادر – بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٢- نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء البدري - دار الرائد العربي – بيروت– ط١/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٦٣- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري - دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة .

٦٤- الوافي بالوفيات للصفدي تح: أحمد الارناؤوط – دار إحياء التراث–بيروت - ٢٠٠٠م.

٦٥- وفيات الأعيان لابن خلكان – تح: إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت .

٦٦- يتيمة الدهر للثعالبي -تح: د. مفيد قمحية- دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان- ط١.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥٢١
توطئة: صاعد البغدادي	٥٢٣
القسم الأول	٥٢٩
المبحث الأول: شعر صاعد البغدادي " دراسة موضوعية "	٥٣١
أولاً: المدح	٥٣١
ثانياً: الوصف	٥٣٨
ثالثاً: الغزل	٥٤٧
رابعاً: الأغراض الأخرى في شعره	٥٥٠
المبحث الثاني: شعر صاعد البغدادي " دراسة فنية "	٥٥٣
أولاً: اللغة والأساليب	٥٥٣
ثانياً: موسيقى الشعر	٥٦٢
ثالثا: البناء الفني	٥٧١
رابعاً: الصورة الشعرية:	٥٧٧
القسم الثاني: المتبقي من شعر صاعد بن الحسن البغدادي جمع وتوثيق	٥٩٧
منهج الجمع والتوثيق	٥٩٩
أبيات متنازعة النسبة بين صاعد البغدادي و غيره	٦٥١
مصادر الدراسة والتخريج	٦٥٩
فهرس الموضوعات	٦٦٥

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.